مهم
"ذاكرة للنسيان"
الزمان:يوم من أيام آب
المكان:بيروت
طبعة تامؤسسة العربية للدراسان والنشر"مجد"
سنة النشر:1990

* طريقـ النحلـ 4-9-2010 *
....
....
من المنام يخرج منامٌ آخر:هل أنت بخير،أعني هل أنت حي؟
كيف عرفتي أني كنت أضع رأسي على ركبتيك و أنام؟
لأنك أيقظتَني حين تحرَكْت في بطني أدركت أني تابوتك،هل أنت حي؟هل تسمعني جيداَ؟
هل يحدث ذلك كثيرآ:أن يوقظني من المنام منام آخر هو تفسير المنام؟
ها هو يحدث لي ولك.....هل أنتَ حي؟
تقريباً
وهل أصابتك الشياطين بسوء؟
لاأعرف،ولكن في الوقت متسعاً للموت
لاتمُت تماماً
سأحاول
لا تمُت أبداً
سأحاول
قل لي:متى حدث ذلك؟أعني متى إلتقينا،متى إفترقنا
منذ ثلاثة عشر عاماً
_هل إلتقينا كثيرا؟.
مرتين:مرة تحت المطر ومرة تحت المطر،والمرة الثالثة لم نلتق،
سافرت ونسيتُكِ ،وقبل قليل تذكرت.تذكرت أني نسيتُكِ.كنت أحلم
وهذا مايحدث لي ،كنت أحلم...ولقد حصلت على رقم هاتفكِ من صديقة
سويدية قابلتها في بيروت.أتمنى لك ليلة سعيدة.لا تنس ألا تموت مازلت
اريدك.وعندما تحيا ثانية،اريدك أن تكلمني.يا للزمن...
ثلاثة عشر عاما.لا.لقدحدث ذلك الليلة.أتمنى لك ليلة سعيدة.
الساعة الثالثة.فجرٌ محمول على النار.كابوس يأتي من البحر.ديوك
معدنية.دخان.حديد يُعِد وليمة حديد
فجر يندلع في الحواس كلها قبل أن يظهر.و هدير يطردني من السرير
ويرميني في هذا الممر الضيق.ولا أريد شيئاً،
لا أتمنى شيئاً و لا أقدر على إدارة أعضائي في هذا الإضطراب الشامل
لا وقت للحيطة،ولاوقت للوقت،
لو اعرف فقط،لو أعرف كيف أُنظِم زحام هذا الموت المنصَب

لوأعرف كيف أُحرِر الصراخ المحتقن في جسدٍ لم يعد جسدي
من فرط ماحاول أن ينجو في تَتَبع فوضوي القذائف.كفى...كفى_همستُ
لأعرف إن كان في وسعي أن أفعل شيئاً
يدلني عليِ.....ويشير إلى مكان الهاوية المفتوحة من جهات ست لا
أستطيع أن أستسلم لهذا القدر المحتوم ولا أستطيع أن أقاومه.
حديد يعوي فينبح له حديد آخر.حمى الحديد هي نشيد هذا الفجر.
لو إسترِاح هذا الجحيم خمس دقائق.
وليكن من بعد ما هو بعد.خمس دقائق.
أكاد أقول خمس دقائق فقط أعِدُ خلالها عُدَتي الوحيدة ثم أتدبر موتي أو
حياتي.
خمس دقائق هل تكفي؟نعم....تكفي لأتسرَب من هذا الممر الضيق
المفتوح على غرفة النوم,المفتوح على غرفة المكتبة و
المفتوح على حمّام لا ماء فيه, والمفتوح على المطبخ
الذي أتحفز لدخوله منذ ساعة ولا أستطيع...لااستطيع أبداً
نمتُ قبل ساعتين،وضعتُ قِطعَتَي قطن في أذنَي،
ونمت بعدما إستمعت إلى نشرة الأخبار الأخيرة.لم تقل أني ميت.
معنى ذلك أني حي.تفقدت أعضاء جسمي فوجدتها كاملة:
عشر أصابع تحت وعشر أصابع فوق.
عينان.اذنان.أنف طويل.وأصبع في الوسط.وأما القلب فإنه لا يُرى
ولا أجد مايشير إليه سوى إحصاء أعضائي،
ومسدس مُلقى على أحد رفوف المكتبة..
مسدس أنيق،نظيف،لامع،وصغير الحجم،بلا رصاص
أهدوني مع المسدس علبة رصاص لا أعرف أين خبَأتُها منذ عامين خوفاً
من حماقة،خوفا من رصاصة طائشة.
إذن أنا حي وبتعبير أدق:أنا موجود
لا أحد يستمع إلى الرجاء المرفوع من الدخان:أريد خمس دقائق،لأتمكن
من وضع هذا الفجر،أو حصتي منه على قدميه ومن التأهب للدخول في
هذا اليوم المولود من عويل.هل نحن في آب؟نعم نحن في آب.
وتحولت الحرب إلى حصار.أبحث عن الراديو المتحول إلى يد ثالثة عما
يحدث الساعة فلاأجد شاهداً ولا خبراً،فالراديو نائم.
لم أعد أتساءل متى يتوقف عواء البحر الفولاذي ،
أسكن على الطابق الثامن في بناية تغري أي صياد بالإصابة،فما بالك
بأسطول بحري يحول البحر إلى أحد مصادر جهنم؟
واجهة البناية الشمالية كانت تمتع سكانها بمشهد ما لسقف البحر
المتجعد،لأنها واجهة من زجاج،
والآن إنقلبت إلى عراء المصرع،لماذا سكنت هنا؟ما هذا السؤال
الأحمق!فمنذ عشر سنين وأنا أسكن هنا ولا أشكو من فضيحة الزجاج
ولكن كيف اصل إلى المطبخ؟
أريد رائحة القهوة،
لاأريد غير رائحة القهوة.
ولاأريد من الأيام كلها غير رائحة القهوة،

رائحة القهوة لأتماسك،لأقف على قدميَ،
لأتحول من زاحف إلى كائن،
لأوقف حصتي من هذا الفجر على قدميها،لنمضي معاً أنا وهذا النهار إلى الشارع بحثا عن مكان آخر
كيف أذيع رائحة القهوة من خلاياي،وقذائف البحرتنقض على واجة المطبخ المطل على البحر لتنشر رائحة البارود ومذاق العدم؟
صرت أقيس المسافة الزمنية بين قذيفتين..ثانية واحدة ...ثانية واحدة أقصر من المسافة بين الشهيق والزفير،أقصر من المسافة بين دقتي قلب...
ثانية واحدة لا تكفي لأن أقف أمام البوتغاز الملاصق لواجهة الزجاج المطلة على على البحر.....
ثانية واحدة لا تكفي لأن أصب الماء في الغلاية،
ثانية واحدة لاتكفي لأن أفتح زجاجة الماء،
ثانية واحدة لا تكفي لأن أصب الماء في الغلاية،
ثانية واحدة لاتكفي لإشعال عود الثقاب،ولكن ثانية واحدة تكفي لأن أحترق...
أقفلت مفتاح الراديو،لم أتساءل إن كان جدار الممر الضيق يقيني فعلا مطر الصواريخ،
ما يعنيني فعلا هوأن جدار يحجب الهواء المنصهر إلى معدن يصيب اللحم البشري بشكل مباشر أو يتشظى أو يخنق.
وفي وسع ستارة داكنة_في مثل هذه الحالات أن توفر غطاء الأمان الوهمي...
فالموت هو أن ترى الموت.
أريد رائحة القهوة...أريد خمس دقائق..
.أريد هدنة لمدة خمس دقائق من اجل القهوة.لم يعد لي مطلب شخصي غير إعداد فنجان القهوة.
بهذا الهوس حددتُ مهمتي وهدفي.
توثبَت(تشديد الثاء)حواسي كلها في نداء واحد واشرأبت(تشديد الباء)عطشى نحو غاية واحدة:القهوة
والقهوة،لمن أدمنها مثلي،هي مفتاح النهار.
والقهوة،لمن يعرفها مثلي،هي أن تصنعها بيديك،لاأن تأتيك على طبق.لأن حامل الطبق هو حامل الكلام.
والقهوةالأولى يفسدها الكلام لأنها عذراء الصباح الصامت.
الفجر...أعني فجري نقيض الكلام.ورائحة القهوة تتشرب الأصوات،ولو كانت تحية رقيقة مثل "صباح الخير"،وتفسد...
لذا،فإن القهوة هي هذا الصمت الصباحي،الباكر،المتأني،والوحيد الذي تقف فيه،وحدك،
مع ماء تختاره بكسل وعزلة،في سلام مبتكر مع النفس والأشياء،
وتسكبه على مهل وعلى مهل في إناء نحاسي صغير داكن وسري اللمعان،أصفر مائل إلى البني ،
ثم تضعه على نار خفيفة.....آه لو كانت نار الحطب.......
إبتعدْ عن النار الخفيفة،

لتطل على شارع ينهض للبحث عن خبزه منذ تورط القرد بالنزول عن الشجرة وبالسيرعلى قدمين،
شارع محمول على عربات الخضار والفواكه وأصوات الباعة المتميزة بركاكة المدائح وتحويل السلعة إلى نعت للسعر،
واستنشقْ هواء قادما من برودة الليل،ثم عُدْ إلى النار الخفيفة_آه لو كانت نار الحطب_
وراقِبْ بمودة وتؤدة علاقة العنصرين:
النار التي تتلون بالأخضر و الأزرق،والماء الذي يتجعد ويتنفس حبيبات صغيرة بيضاء تتحول إلى جلد ناعم،ثم
تكبر....تكبر على مهل لتنتفخ فقاعات تتسع وتتسع بوتيرة أسرع وتتكسر، تنتفخ وتتكسر عطشى لإلتهام ملعقتين من السكر الخشن الذي ما إن يداخلها حتى تهدأ بعد فحيح شحيح،
لتعود بعد هنيهة إلى صراخ الدوائر المشرئبة إلى مادةأخرى هي البن(القهوة بالعامية) الصارخ،ديكا من الرائحة والذكورة الشرقية.........
أبعدْ الإناء عن النار الخفيفة لتجري حوار اليد الطاهرة من رائحة التبغ والحبر مع أولى إبداعاتها
مع إبداع أول سيحدد لك منذ هذه الهنيهة،مذاق نهارك وقوس حظك.
سيحدد لك إن كان عليك أن تعمل أم تتجنب العلاقة مع أحد طيلة هذا اليوم.
فإن ما سينتج عن هذه الحركة الأولى وعن إيقاعاتها وعما يحركها من عالم النوم الناهض من اليوم السابق،
وعما يكتشف من غموض نفسك سيكون هوية يومك الجديد........
لأن القهوة، فنجان القهوة الأول،هي مرآة اليد،
واليد التي تصنع القهوة تشيع نوعية النفس التي تحركها
وهكذا فالقهوة هي القراءة العلنية لكتاب النفس المفتوح.....والساحرة الكاشفة لما يحمله النهار من أسرار ...
....
ما زال الفجر الرصاصي يتقدم من جهة البحر على أصوات لم أعرفها من قبل.
البحر برمته محشو في قذائف طائشة.
البحر يبدل طبيعته البحرية ويتمعدن.أللموت كل هذه الأسماء؟
قلنا سنِخرج،فلماذا ينصب هذا المطر الأحمر الرمادي على من سيخرج وعلى مَن سيبقى من بشر وشجر و حجر؟
قلنا:سنخرج،
قالوا:من البحر.
قلنا:من البحر.فلماذا يسلحون الموج والزبد بهذا المدافع ؟ألكي نعجل الخطى نحو البحر؟
عليهم أن يفكوا الحصار عن البحر أولا....
وعليهم ان يخلو الطريق الأخير لخيط دمنا الأخير..
ومادام الأمر كذك وهو كذلك..فلن أخرج.إذن سأعدُ القهوة ....

صحت عصافير الجيران في السادسة صباحا.
تابعت تقاليد الغناء المحايد من وجدت نفسها وحيدة مع بدايات الضوء.
لمن نغني في زحام هذه الصواريخ؟تغني لتشفي طبيعتها من ليل سابق ،تغني لها لا لنا....
هل كنا نعرف ذلك فيما مضى؟لقد شقت الطيور فضاءها الخاص في دخان المدينة المحترقة.
كانت سهام الصوت المتعرجة تلتف على القنابل وتشير إلى أرض سالمة في الفضاء،
للقاتل أن يُقتل،للمقاتل أن يقاتل .وللعصفور أن يغني.......
ولكني أكف عن طلب الكناية ،أكف تماما عن التأويل...
لأن من طبيعة الحروب أن تحقر(تشديدوكسر القاف)الرموز،
وتعود بعلاقات البشر والمكان والعناصر والوقت إلى خاماتها الأولى،
لنفرح بماء يتدفق من ماسورة مكسورة على طريق،لأن الماء هنا يتقدم معجزة ....

مَن قال إن الماء لا لون له ولاطعم ولا رائحة؟للماء لون يتفتح في إنفتاح العطش..
للماء لون اصوات العصافير،الدوري بخاصة ،العصافير التي لاتكترث بهذه الحرب القادمة من البحرمادام فضاؤها سالما.
وللماء طعم الماء
ورائحة هي رائحة الهواء القادم بعد الظهيرة من حقل يتموج بسنابل القمح الممتلئة في إمتداد متقطع الضوء كبقع الضوء المخطوفة التي يتركها وراءه توتر(تشديد وضم التاء الثانية)جناح الدوري وهويطير طيرانا واطئا على حقل ....

ليس كل مايطير طائرة...
ولعل أسوأ الكلمات العربية هو أن الطائرة تأنيث الطائر..
الطيور تواصل غنائها وتثبت(تشديد وكسر الثاء)أصواتها وسط هدير المدافع البحرية.
ومن قال إن الماء لا طعم له ولا لون ولا رائحة..
ومن قال إن هذه الطائرة هي تأنيث الطائر؟
ولكن العصافير تصمت فجأة،تكف عن الكلام وعن التحليق الروتيني في هواء الفجرمنذ هبت عاصفة الحديد الطائر.
أمن هديرها الفولاذي سكتت،
أم من تشابه غير متعادل في الشكل والإسم:
جناحان من حديد وفضة في مقابل جناحين من ريش،
حيزوم من حديد وفضة في مقابل منقارمن نشيد...
حمولة من صورايخ مقابل حبة قمح وقشة،
توقفت العصافير عن الغناء،واكترثت بالحرب ،لأن أرض سمائها لم تعد سالمة.....

لسماء تنخفض كأنها سقف إسمنتي يقع.
البحريتحول إلى يابسة ويقترب.
السماء والبحر من مادة واحدة.
البحر والسماء يضيقان علي الخناق.
ادرت مفتاح الراديو لأعرف أخبار السماءلم أسمع شيئا،
تجمد(تشديد الميم)الوقت،جلس علي ليخنقني
،مرت الطائرات من بين أصابعي إخترقت رئتي.
كيف أصل إلى رائحة القهوة،
كيف أموت يابساً بلا رائحة القهموة،
لاأريد...لاأريد،فاين إرادتي؟

وقَفَتْ هناك على الطرف الثاتي من الشارع،
يوم أطلقنا النداء المضاد لتزحف الخرافة علينا من الجنوب....
يوم كورَ(تشديد وفتح الواو)الحم البشري عضلة الروح وصاح:لن يمروا...ولن نخرج...
إشتبك اللحم مع الحديد وتغلب(تشديداللام) على علم الحساب العسير،
فتوقف الغزاة على السور...
هناك وقت لدفن الموتى وهنالك وقت للسلاح ،
وهناك وقت ليمر الوقت على هوانا ....لتطول البطولة،فنحن
نحن أصحاب الوقت...
كان الخبز يصعد من التراب .
وكان الماء ينجبس من الصخر.
كانت صواريخهم تحفر لنا آبار الماء
وكانت لغة قتلهم تغرينا بالنشيد:لن نخرج،
وكنا نرى وجوهنا على شاشة الآخرين تغلي بالوعد العظيم
وتخترق الحصارات بشارات نصر لاتنكسر
لن نفقد شيئا منذ الآن ،مادامت بيروت هنا،
ومادمنا هنا في بيروت وسط هذا البحر...
على بوابة هذه الصحراء أسماء لوطن مختلف،
وعودة المعاني إلى مفرداتها.
هنا خيمة للتائهة من المعاني،والضالة من الألفاظ
ولشتات الضوء اليتيم المطرود من الوسط..
فهل عرف هؤلاء الفتية المدججون بجهل خلاق(تشديدوفتح اللام)لموازين القوى،
وبمطالع أغنيات سابقة،وبقذائف
يدوية،وزجاجات جعة ساخنة،وبشهوات فتيات في ملجأ،وبقصاصات هوية ممزقة ،
وبرغبات واضحة في الإنتقام من آباء حكماء وبجنون الخلاص من شيخوخة الفكرة،
وبما لايدرون من رياضة الموت النشيط ...

هل عرفوا أنهم يصححون بجراحهم وطيشهم المبدع حبر اللغة التي ساست شرق المتوسط كله
في إتجاه غرب لا يطلب من العبودية غير تحسين شروط إلتحاقها،منذ حصار عكا في العصور الوسطى؟
حتى حصار بيروت المُكلف(تشديد وفتح اللام)بالإنتقام من كل التاريخ في العصور الوسطى؟
وهل عرفوا حين إنصرفو إلى محاصرة الحصار،أنهم ينوبون عن الأسطورة في إنتشال الواقع من الخارق إلى البسيط
ليرشدوا قارئ الرمل المضلل إلى أسرار نسيج البطولة المكونة من البسيط إلِى البسيط ؟
كأن يُمتحن رجل في رجولته،وأنثى في أنوثتها.كأن يكون للكرامة قوة الإختيار بين الدفاع عنها أو الإنتحار
وكأن لايرضى الفارس بإشتراط فروسيته الذاتية الخلاقية والجسدية بعودة عصر الفروسية الرسمية..وأن
يشق بنفسه وحيداً هذا الفضاء المتطاول فيصوب(تشديد وكسر الواو)مسارا لما فيه من غموض الحافز...
وكأن تشق حفنة من البشر عصا الطاعة على المألوف كي لا يتساوى هذا الشعب.

هذا الشعب المخلوق من مزاج النار العنيدة مع قطعان الغنم التي يريد أن يسوسها(تشديد وكسر الواو)راعي القمح وراعي الخراف معاً
عبر سياج التواطؤ.
لن يمروا على حياتنا فليمرو ا إن إستطاعوا أن يمروا على ما تلفظه الروح من جثث.
فأين إرادتي؟
وقفتْ على الرصيف الثاني من الصوت الجماعي،أما الآن فلا اريد أكثر من رائحة القهوة.
خجلت من خوفي وممن يدافعون عن رائحة البلاد البعيدة،
الرائحة التي لم يشموها لأنهم لم يولدوا فيها ،وُلِدوا منها بعيداً عنها،وتعلموها بلا إنقطاع
وبلا كلل أو ملل،تعلموها من ذاكرة مسلطة ومن مطاردة ملحة..
لستم من هنا،قيل لهم هناك
ولستم من هنا،قيل لهم هنا
وبين هنا وهناك شدوا أجسادهم قوسا يتوتر حتى إتخذ الموت فيهم هذه الصيغة الإحتفالية
لقد أُخرج آباؤهم من هناك ليحلوا ضيوفا على هنا
ضيوفا مؤقتين من أجل إخلاء ساحات الوطن من المدنيين ليتسنى للجيوش النظامية تطهير أرض العرب وشرفهم من العار والدنس:
)أخي جاوز الظالمون المدى فحق الجهاد وحق الفدا ،طلعنا عليهم طلوع المنون فكانوا هباءً وكانوا سدى(

وبقدر ماكانت تلك الأغاني تُطارِد فلول الغزاة وتحرر الأرض سطرا سطرا،
كان هؤلاء هنا يُولَدون بلا مهد وكيفما إتفق على حصير أو في سلة من
قصب أو على أوراق الموز
يولدون كيفما إتفق بلا شهادة ميلاد وبلا
سجل أسماء،بلا فرح وبلا ميلاد كانوا أعباء على أهلهم وعلى جيران
الخيمة...
وبإختصار:كانوا ولادة زائدة كانوا بلا هوية
وإنتهى الأمر إلى ما إنتهى إليه.
عادت الجيوش النظامية وبقي هؤلاء يولدون بلا سبب ويكبرون بلا سبب
ويتذكرون بلا سبب ويحاصرون بلا سبب
جميعهم يعرف القصة شديدة الشبه بحادثة سير كونية وبواقعة طبيعية،
ولكنهم قرأوا كثيرا في كتاب أجسادهم وأكواخهم،قرأوا تمييزهم
وقرأوا الخطاب القومي وقرأوا صادرات وكالة الغوث
وقراوا سياط الشرطة وظلوا يكبرون ويزيدون عن حزام المخيم وعن مراكز
الإعتقال،
وقرأوا تاريخ الحصون والقلاع التي وقعها الغزاة لتخليد أسمائهم على أرض
ليست لهم ولتزوير هوية الحجارة.....

والبرتقال على سبيل المثال.أليس التاريخ قابلا للرشوة؟
وإلا فلماذا يحمل المكان البحيرات والجبال والمدن أسماء قداة عسكريين لا
شيئ إلا
لأن أولئك القادة قد تنفسوا(تشديد الفاء وفتحها)إنطباعا أوليا لدى
المشاهدة،
فتحولت كلمات الإنطباع إلى أسماء نتناقلها حتى الآن؟
أو ...هريد ما أجملها هكذا قال قائدروماني حين رأى البحيرة في مقدونيا
فصار هذا الدهش هو إسمهاوقس على ذلك مئات الأسماء
التي نشير بها إلى أمكنة أشار إليها قبلنا عسكري منتصر
وصار من الصعب فك الهوية عن هزيمتها.قلوع وحصون هي
محاولات لحماية إسم لا يثق بخلوده من النسيان.
حجارة مضادة للنسيان حروب عكس النسيان،لاأحد ريد أن ينسى ،
وشكل أدق:لاأحد يريد أن يُنسى.
وبشكل سلمي :ينجبون الأطفال ليحملوا أسمائهم ليحملوا عنهم عبئ
الاسم أو مجده.
إنه تاريخ طويل من عملية البحث عن توقيع على زمان أو مكان
ومن حل عقدة الاسم في مواجهة قوافل النسيان الطويلة ....

فلماذا يطلب هؤلاء الذين ألقت بهم أمواج النسيان على ساحل بيروت
أن يشذوا عن قاعدة الطبيعة البشرية؟
لما يطالِبون بهذا القدر من النسيان؟
ومن هو القادر على تركيب ذاكرة جديدة لهم لا محتوى لها
غير ظل مكسور لحياة بعيدة في وعاء من صفيح صارخ!؟

أهناك ما يكفي للنسيان لكي ينسوا؟
ومن سيساعدهم على النسيان في هذا القهر الذي لا
يتِوقف عن تذكيرهم بإغترابهم عن المكان والمجتمع؟
من يرضى بهم مواطنين؟من يحميهم من سياط الملاحقةوالتمييز:لستم
من هنا!!!!
يستعرضون الهوية المرفوعة للتدليل على خطر الدخول وخطر
الخروج،لمحاصرة الأوبئة،
ويراقبون براعة إستخدامها رافعة قومية،
فهؤلاء المنسيون المطرودون من النسيج الاجتماعي الداخلي،المنبوذون،
المحرومون من حق العمل والمساواة يطالَبون في الوقت ذاته بأن
يصفقوا لقمعهم لأنه يوفر لهم نعمة الذاكرة.
وهكذا يُدفَع المطالَب أنه إنسان إلى قبول إستثنائه من الحقوق ليتدرب
على
التحرر من داء نسان الوطن،عليه أن يُصاب بالسل كيلا ينسى أن له رئة،
وعليه أن ينام في العراء كيلا ينسى أن له سماء أخرى،
وعليه أن يكون خادما كيلا ينسى أن له مهمة وطنية،
ويُمنع من التوطين كيلا ينسى فلسطين.

وامتشقت سيدات المجتمع البنادق الرشاشة المحاطة بوسوسة
المجوهرات،
ليخطبنَ في حفلات الدفاع عن وطنية"المجدرة"(أكلة فلسطينية(،
وحين خجل قال ما يعني أن الوطن ليس هذا الطعام
وتناول السلاح يستخدمه خارج الحفلة،على الحدود،قالوا له:هذا تجاوز.
وحين استخدم السلاح في معارك الدفاع عن النفس في الداخل،
ضد مندوبي الصهيونية المحليين قيل له:هذا تدخل في الشؤون
الطائفية.مالعمل؟
إذن،مالعمل لينهي عملية النقد الذاتي سوى الإعتذار عن وجود لم يوجد
بعد.
لستَ إلى هناك،ولستَ من هنا.ومن بين هذين النفيين وُلِد هذا الجيل
المدافع عن
وعاء جسدي للروح،علق(تشيديداللام)عليه رائحة البلاد التي لايعرفها.لقد
قرأ ما قرأ
ورأى ما رأى،ولم يصدق أن الهزيمة حتمية وتبع تلك الرائحة....

منهم أخجل دون أن أعرف أني أخجل منهم ..
الغامض يتراكم على الغامض ليحتك ويقدح الوضوح
وفي وسع الغزلة أن يفعلوا كل شيئ،في وسعهم أن يسلطوا
البحر والجو علي،لكنهم لايستطيعون أن يقتلعوا مني رائحة القهوة
ساصنع قهوتي الآن .سأشرب القهوة الآن،لأتميز عن خروف على الأقل ،
لأعيش يوماً آخر،أو أموت محاطاً برائحة القهوة .
...تُبعِد الإناء عن النار الخفيفة لتجري اليد أولى إبداعاتها،

ولاتكترث بالصواريخ والقذائف والطائرات
فتلك إرادتي:سأذيع رائحة القهوة لأمتلك فجري .
لا تنظر إلى الجبل الذي يبصق كتلة نارية في إتجاه يدك .
ولكنك لا تستطيع أن تنسى أنهم يرقصون هناك،يرقصون من النشوة.

كانت سيدات القرنفل في صحف البارحة يرتمينَ على دبابات الغزاة في الأشرفية
كان النصف الأعلى من نهودهن،والنصف السفلي من أفخاذهن عارياً من الصيف ومن المتعة،
ومعداًجيداً لاستقبال المخلصين،قبلني(تشديد وكسرالباء)يا شلومو،قبلني على فمي ،
ما اسمك يا حبيبي لأناديك باسمك يا حبيبي،شلومو كم انتظرتك شغاف قلبي،أُدخل يا شلومو ،
ادخل رويدا رويدا أو أدخل دفعة واحدة لأحس فيك القوة،كم أحب القوة يا حبيبي ،
إذبحوهم واقتلوهم بكل ما فينا من إنتظار.لتحمك سيدة لبنان يا شلومو .
اقصفوهم ريثما أعد لك كأس العرق والغداء يا شلوموبا حبيبي .
بعد كم ساعة تقضون عليهم،بعد كم ساعة.لقد طالت العملية يا شلومو،طالت
فلماذا أنتم بطيئون يا حبيبي/شهران،مابالكم لا تتقدمون .
ولكن رائحتك كريهة يا شلومو،لا بأس هذا من الصيف والعرق .
سأغسلك بماء الفل يا حبيبي،لماذا تبول في الشارع؟هل تتكلم الفرنسية؟
لا؟أين ولدت؟في تعز؟أين تعز هذه؟في اليمن؟لابأس لابأس،كنت أظنك شيئا آخر،
ما عليك يا شلومو!!أقصف من أجلي هناك..هناك

ملعقة واحدة من البن المكهرب بالهال تُرسى ببطء على تجاعيد الماء الساخن،
تحركها تحريكا بطيئا بالملعقة،بشكل دائري في البداية،ثم من فوق إلى تحت،
ثم تحركها تحريكا دائريا من الشمال إلى اليمين،ثم تسكب عليها الملعقة الثالثة،
بين الملعقة والأخرى أبعِد الإناء عن النار ثم أعده ةإلى النار،
بعد ذلك "لقم"(تشديد وكسر القاف)القهوة أي املأ الملعقة بالبن الذائب وارفعها إلى أعلى ثم أعدها عدة مرات إلى اسفل .
إلى أن يعيد الماء غليانه وتبقى كتلة من البن ذي اللون الأشقر على سطح الماء،
تتموج وتتأهب للغرق لا تدعها تغرق ،أطفِئ النار ولا تكترث بالصواريخ .
خُذ القهوة إلى الممر الضيق صبها(فعل أمر)بحنان وافتنان في فنجان ابيض .

فالفناجين الداكنة اللون تفسد حرية القهوة،راقِب خطوط اللبخار وخيمة الرائحة المتصاعدة،
أشعِل سيجارتك الآن السيجارة الأولى المصنوعة من اجل هذا الفنجان،
السيجاؤة ذات المذاق الكوني التي لايعادلها مذاق ىخر غير مذاق السجارة التي تتيع عملية الحب،
بينما المرأة تدخن آخر العرق وخفوت الصوت

ها أنا ذا أولد امتلأت عروقي بمخدرها المنبه،بعدما التقت بينبوع حياتها،
الكافيين والنيكوتين وطقس لقائهما المخلوق من يدي .
اتساءل:كيف تكتب يد لا تبدع القهوة؟
كم قال لي أطباء القلب وهم يدخنون،لا تدخنولا تشرب القهوة.وكم مازحتهم :
الحمار لا يدخن ولا يشرب القهوة ولا يكتب ....

أعرف قهوتي وقهوة أمي وقهوة أصدقائي أعرفها من بعيد وأعرف الفوارق بينها،
لاقهوة تشبه الأخرى،ودفاعي عن القهوة هو دفاع عن خصوصية الفارق .
ليس هنالك مذاق اسمه القهوة،فالقهوة ليست مفهوما وليست مادة واحدةوليست مطلقا
لكل شخص قهوته الخاصة،الخاصة إلى حدأقيس معه درجة ذوق الشخص وأناقته النفسية بمذاق قهوته،
ثمة قهوة لها مذاق الكزبرة وذلك يعني ان مطبخ السيدة ليس مرتبا
وثمة قهوة لها مذاق عصير الخروب وذلك يعني أن صاحب البيت بخيل
وثمة قهوة لها رائحة العطر ذلك يعني أن السيدة شديدة الإهتمام بمظاهرالأشياء
وثمة قهوة لها ملمس الطحلب في الفم وذلك يعني أن صاحبها يساري طفولي
وثمة قهوة لها مذاق القِدم من فرط ما تألب البن في الماء الساخن ...
ذلك يعني أن صاحبها يميني متطرف .
وثمة قهوة لها مذاق الهال الطاغي ذلك يعني أن السيدة محدثة النعمة

لا قهوة تشبه الأخرى،لكل بيت قهوته،ولكل يد قهوتها،لأنه لا نفس تشبه نفسا أخرى،
وأنا أعرف القهوة من بعيد:تسير في خط مستقيم في البداية ثم تتعرج وتتأود
وتلتف على سفوح ومنحدرات،تتشبث بسنديانة أو بلوطة،وتتغلب لتهبط الوادي وتلتف
إلى ما وراء وتتغتت حنيناً إلى صعود الجبل وتصعد حين تتشتت في خيوط الناي الراحل إلى بيتها الأول ...
رائحة القهوة عودة وإعادة إلى الشيئ الأول،لأنها
تنحدرمن سلالة المكان الأول،هي رحلة بدأت من آلاف السنين وما زالت

تعود .
القهوة مكان.القهوة مسام تُسربُ(تشديد وكسر الراء)الداخل إلى الخارج،
وانفصال يوحد(تشديد وكسر الحاء)ما لا يتوحد إلا فيها هي رائحة القهوة .
هي ضد الفطام.ثدي يُرضِع الرجال بعيداً.صباح مولود في مذاق مر،حليب
الرجولة
والقهوة جغرافيا

مَن تلك الناهضة من منامي؟
هل هي حقا كانت تخاطبني قبل الفجر أم كنت أهذي وأواصل المنام
صاحيا .
لم نلتق غير مرتين.في المرة الأولى حفِظْتُ اسمها .
وفي المرة الثالثة لم نلتق.فلماذا تناديني الآن في حلم
كنت أنام فيه على ركبتيها
لم أقل لها في المرة الأولى:أحبك
ولم تقل في المرة الثانية:أحبك
ولم نشرب القهوة معاً

إعتدتُ أن أحصي عدد السوس في صحن حساء العدس،الطبق اليومي
في السجون
وإعتدت أن أتغلب على الإشمئزاز لأن الشهية تتكيف ولأن الجوع أقوى من
الشهية .
ولكنني لم أتكيف مع غياب القهوة الصباحية ومع تناول غسيل الشاي .
ألهذا لم أتعايش مع ظروف السجن؟
سألتني صديقة بعد خروجي من السجن الأول:هل إستمتعت؟
قلت:لا،لأنهم لا يقدمون القهوة،
قالت:هذا شيئ فظيع،وأضافت:ولكنني لا أشرب القهوة .
قلت:لأعرف سيدات كثيرات مهووسات بصباح القهوة.الرجل هو
الذي يفتتح نهاره بالقهوة،أما المرأة فإنها تفضل المكياج !!!
ليس ذلك ما آلمني لقد تمكن احد زملائي من السجناء من إحضار فنجان
قهوة لي،
ذات صباح،تلقّفتُه بشبق ومنحت نفسي وقتاً للتأمل،
مما دفع زميلاً آخر إلى تصويب نظرة إستعطاف نحو الفنجان .
تجاهلْتُها لأتوحّد مع ملكيتي،تجاهلْتُها وتلذّذت برشفة القهوة بسادية
أيقظت فيّ
الإحساس بالإثم فيما بعد.كان ذلك قبل عشرين عاما،
وما زالت تلك النظرة المتوسلة تلاحقني إلى الآن داعية
إياي إعادة النظر المستمرة في نفسي وإلى تهذيب سلوكي .
لأن العطاء وتقاسم الأشياء في السجن هو معيار صدق العطاء .
لم أتخلص من عقدة الذنب بما أغدقتُ من معيار صدق العطاء .
لم أتخلص من عقدة الذنب بما أغدقت عليه من أنصاف السجائر
في محاولة لرشوة توازني النفس .

مأشدَّ أنانيتي!!لقد حرمت زميلا في السجن من نصف فنجان من القهوة، مما دفع الأقدار إلى معاقبتي بعد أسبوع حيث جاءت أمي لزيارتي ومعها إبريق من القهوة دلقه الحارس على العشب

والقهوة لا تُشرَب على عجل.القهوة أخت الوقت
تُحتسى على مهل ..على مهل.
القهوة...صوت المذاق
....صوت للرائحة
القهوة تأمل وتغلغل في النفس وفي الذكريات
والقهوة عادة تلازمها بعد السيجارة عادة أخرى هي الجريدة.
أين الجريدة؟الساعة السادسة صباحاً.وانا في عين الجحيم.
ولكن الخبر هو مايُقرأ لا ما يُسمع،
والواقع قبل تسجيل الواقع ليس واقعاُ تماماُ.
اعرف باحثاً في الشؤون الإسرائيلية لايكفُّ عن تكذيب الشائعات القائلة إن بيروت محاصرة لأنه لا يقرأالحقيقة إلا إذا كانت مكتوبة باللغة العبرية.وبما أن الصحف العبرية لاتصل إليه،فإنه لا يعترف بأن بيروت محاصرة !!!
ليس هذا ما يصيبني من حماقة،فالجريدة الصباحية هي إدمان،
أين الجريدة؟
تصاعدت هيستريا الطائرات،لقدجُنّت السماء.جُنّت تماماً.
يُنذر هذا الفجر بأن هذا اليوم هوآخر أيام الخليقة.
فأين يضربون؟أين لايضربون؟
وهل تتسع منطقة المطار لكل هذه القذائف القادرة على قتل بحر؟
أفتح الراديو فأضطر للإستماع إلى الاعلانات التجاريةالسعيدة:
ساعة سيتيزن لضبط الوقت.......

سجائر ميريت"نكهة أكثر ونيكوتين أقل"
تعال إلى مارلبورو تعال تعال إلى حيث المتعة.
ولكن أين الماء؟
غنج متزايد من مذيعات مونت كارلو الخارجات للتو من الحمّام أو غرف النوم المثيرة.
قصفٌ شديد على بيروت.قصف شديد على بيروت؟
أهذا هو الخبر كأنه نبأ عن يوم عادي من أيام حرب عادية، عادية في نشرة الأخبار.أحوّل إبرة الراديو إلى إذاعة لندن ، الفتور المميت ذاته في اصوات مذيعين يدخنون الغليون على مسمع من المستمعين.
أصوات منقولة على موجة قصيرة مكبرةإلى موجة متوسطة تحولِّها إلى كاريكاتور خبيث:ويقول مراسلنا إنه يبدو للمراقبين الحذرين أن مايبدو
مما يتضح عندما يتمكن المتحدث لولا صعوبة الاتصال بالوقائع لعلَّ في الأمر ما يدل على أن كلا المتحاربين يحاول عسى ولاسيما

ناهيك عن غموض ما قديسفر عن طائرات مجهولة أسماء الطيارين تحلّق
إذا أردنا الدقة حيث حيث قد يتأكد بعض الناس يظهر في زي حسن.
لغة عربية سليمة المعلومات تنتهي بلغة عربية سليمة العواطف
لمحمد عبد الوهاب:يا تحبني يا تقوللي أروح لك يا تقوللي أروح منك
فين...........

صوات متشابهة الرتابة،رمل يصف بحراً،اصوات فصيحةو نزيهة
تصف الموت كما تصف الأحوال الجوية،وكما لاتصف سباق الخيل والدراجات
عمّ ابحث؟افتح الباب عدة مرات ولا أعثر على الجريدة؟
لماذا اطلب الجريدة والنايات تتساقط من الجهات كلها،ألا تكفيني هذه
القراءة؟
ليس ذلك تماماً .
فالباحث عن الجريدة وسط الجحيم هارب من الموت وحيداُ إلى الموت
الجماعي .
باحث عن عينين إنسانيتين ،عن صمت مشترك،وعن كلام متبادل،باحث
عن مشاركة
ما في الموت،عن شاهد يشهد،وعن شاهد على جثة،عن مُبلْغٍ عن
شقوط الحصان،
عن لغة للصمت وللكلام،وعن إنتظار أقل ضجرلموت تأكِّد .
فإن ما يقوله هذا الفولاذ،هذه الوحوش الفولاذية :
هوأن أحداً لن يرى السكينة...ولن يحصي قتلانا ..
كنت أكذب على نفسي،فليست فيَّ حاجة إلى البحث عن
وصف ماهو حولي وما في داخلي .
حقيقة الأمر أني كنت خائفا من الوقوع بين الأنقاض،
فريسة أنين لا يصل.كان ذلك مؤلم،
مؤلماًإلى حد التماهي مع الحادثة التي وقد حدثت،
انا الآن هناك بين الأنقاض .
أحسُّ بوجع الحيوان المهروس فيّ وأصرخ من وجعي ولا يسمعني أحد.

كان ذلك الألم الشبح القادم من إتجاه معاكس مما قد يحدث .
بعض الذين يصابون بساقهم يواصلون الإحساس بالوجع في الساق حتى
بعد بترها لسنين
إنهم يمدُّون أيديهم لتحسس موضع الوجع في ساق لم يعد لها وجود،
وقد يلاحقهم هذا الوجع الوهمي....الوجع الشبح إلى آخر العمر
أما أنا فأشعر بوجع شديدجرّاء إصابة لم تحدث...لقد طُحِنت ساقاي تحت
الأنقاض
وهذه ظنوني:قد لايقتلني الصاروخ بشكل خاطف دون أن أشعر .
فقد ينهار عليّ حائط على مهل على مهل في عذاب لاينتهي وإستغاثة
لاتُبلِّغ مصيري إلى أحد
قد يطحن ساقي أو ذراعي أو جمجمتي أو قد يربض على صدري،
وأبقى حياً عدة أيام لا وقت فيها لأحد للبحث عن بقايا كائن .

قد يختلط لحمي بالإسمنت والحديد والتراب فلايدلّ شيئ عليّ،
وقد ينغرز زجاج نظارتي في عيني فأصاب بالعمى .
وقد يتغلغل عمود من الحديد في خاصرتي .
وقد أنسى في زحام اللحم البشري المعوس المفقود بين الأنقاض .
ولكن لماذا أهتم بمصير جثتي وعنوانها إلى هذا الحد؟لا أعرف

ريد جنازة حسنة التنظيم،يضعون فيها الجثمان السليم،لا المشوه،في تابوت خشبي
ملفوف بعلَم واضح الألوان الأربعة،
ولوكانت مقتبسة من بين شعر لا تدل ألفاظه على معانيه،
محمول على أكتاف أصدقائي وأصدقاءي الأعداء .
وأريد أكاليل من الورد الأحمر والورد الأصفر .
لاأريد اللون الرمادي الرخيص ولا اريد اللون البنفسجي
لأنه يذيع رائحة الموت
واريد مذيعا قليل الثرثرة قليل البحة،قادراًعلى إدعاءحزن مقنع
يتناوب مع أشرطة تحمل صوتي بعض الكلام .
اريد جنازة هادئة واضحة وكبيرة ليكون الوداع جميلاً وعكس اللقاء .
ما أجمل حظ الموتى في الجدد،في اليوم الأول من الوداع،
حين يتبارى المودعون في مدائحهم.فرسان ليوم واحد
لا نميمة لا شتيمة لاحسد.حسناً،
وأنا بلا زوجة وبلا ولد.فذلك يوّفر على بعض الأصدقاء ...
جهد التمثيل الطويل لدورحزين لاينتهي إلا بحنو الأرملة على المعزّي .
وذلك يوفرعلى الولد الوقوف على ابواب المؤسسات ذات البيروقراطية البدوِية .
حسنُ أني وحيد...وحيد..وحيد،لذلك ستكون جنازتي مجانية وبلا حساب مجاملة،
ينصرف بعدها المشيعون إلى شؤونهم اليومية .
أريد جنازة وتابوتاًانيق الصنع أطل منه كما يريد توفيق الحكيم أن يطل على المشيعين ..
أسترق النظرإلى طريقتهم في الوقوف وفي المشي وفي التأفف وفي تحويل اللعاب إلى دموع.

وأستمع إلى التعليقات الساخرة:كان يحب النساء
وكان يبذخ في إختيار الثياب .
وكان سجاد بيته إلى الركبتين،
وكان له قصر على الساحل الفرنسي اللازوردي
وفيللا في إسبانيا
وحساب سري في زيوريخ
وكانت له طائرة سريةخاصة
وخمس سيارات فخمة في مرآب بيته في بيروت،
ولانعرف إن كان له يخت في اليونان .

ولكن في بيته من أصداف البحر مايكفي لبناء مخيّم .
كان يكذب على النساء .
مات الشاعر ومات شِعره معه .
ماذا يبقى منه؟لقد إنتهت مرحلته وإنتهينا من خرافته .
أخذ شِعره معه ورحل،كان طويل الأنف واللسان ......
وسأستمع إلى ماهو أقسى عندما تتحرر المخيلة من كلّ شيئ .
سأبتسم في التابوت سأبذل جهدا لأقول :
كفى ى ى .سأحاول العودة فلا أستطيع...

أما أن أموت هنا،فلا،لاأريد الموت تحت الأنقاض .
سادعي لنفسي أنني ذاهب إلى الشارع للبحث عن الجريدة،
فالخوف عار عن في حمّى البطولة المتفشية من جميع الناس،
من اولئك الذين لانعرف أسمائهم على خطوط الإشتباك،
ومن أولئك البسطاءالذين إختاروا أن يبقوا في بيروت،
إختاروا أن يكرّسوا أيامهم للبحث عن تنكة ماء وسط مطر القذائف،
إختاروا أن يِمدوا لحظة التحدي والصمود إلى تاريخ،
اختاروا ان يَدفعوا لحمهم في صراع مع الحديد المنفجر .
البطولة هي هذا الجز المشطور من بيروت في هذا الصيف الحارق،
هي بيروت الغربية.ليس من يموت هنا يموت بالمصادفة .
الحي حي بالمصادفة،إذ لم يسلم شبر واحد من صاروخ .
ولم يسلم موقع خطوة واحدة من إنفجار
ولكني لاأريد الموت تحت الأنقاض .
اريد الموت في الشارع ..
إنتشر أمامي فجاة الدود الموصوف في إحدى الروايات :
دود يرتِّب صفوفه وانواعه وألوانه،بنظام صارم،لإلتهام الجثة كأنه يسلخ اللحم
كله عن العظام في دقائقزغارة واحدة ..
غارتان ولايبقى منّا غير الهيكل العظمي .
دود يأتي من امجهول ومن التراب ومن الجثة نفسها .
الجثة تأكل نفسها بجيش حسن التنظيم يطلع منها في لحظات .
إنها صورة تفرغ الإنسان من بطولته ومن لحمه،
وتدفع به في عراء المصير العبثي،
في العبث المطلق ،في العدم الكامل .
صورة تجرد الأناشيد من مديح الموت ومن الفرار إلى الفرار .
أمِن أجل التغلّب على بشاعة هذه الحقيقة .
فتح الخيال البشري ساكن الجثة فضاءً لخلاص الروح من العدم؟
أهذا ما يقترحه الدين والشعر من حل؟ربما..ربما.

ولأنني أعرف سمير منذ الطفولة،
لم أذهب إلى غيبوبته في المستشفى .
لقد بترت الطائرات ساقيه وذراعه،بقرت بطنه وسملت عينيه،

عندما كان يخلي المصابين في ميدان المدينة الرياضية.ماذا تبقى منه؟
أعني ماذا تبقى من وسامة كانت توقد الجمرتحت ثياب الفتيات؟
كنّا معاً في المدرسة الثانوية في "كفرياسيف".لم يحضر الدروس كثيراً
كان ساهيا وغائبا،يُؤثِر البحر واصطياد العصافير على الكتب،
ولايشارِكِ في شغب التلاميذ .
فيه حَسَنُ يوسف خفرٌ بلا تقوى .
عينان زرقاوان صافيتان من بحر عكا
وأمه الحسناء الطاغية،شعر كستنائي مُجعّد.وجبين واسع يطل على ما فوقنا
كان بعيدا بعيدا وقوي البنية .
ولم نعرف لماذا ابتعد عن المدرسة وعن العائلة وعن
الوطن إلى أن أشعل حرب حزيران ،هكذا قالت الصحف الإسرائيلية بعناوين عريضة :
إلقاء القيض على فدائي تسلل عبر الحدود لينسف حيفا.كان ذلك عشية حرب حزيران .
وكان الأعلام الاسرائيلي منكباًعلى إعدادالذرائع لإعلان الحرب .
لم نُصدِّق أن سمير فدائي فلسطيني،إذ لم يسبق أن إنخرط معنا في نشاط عام،
إلا بعدما طالعتنا قامته المديدة في الصحف وهو يرسف في الأغلال .
حدّثني أبوه وهوابن عمي كيف كانت الشرطة تُسمِعه خلف جدران الزنزانةـأنين سمير تحت التعذيب المتواصل
قطيع من الذئاب يستفرد بغزال أسير.لقد تحطَم والده تماماً وهو يستمع الى الموت البطيئ المتصاعد من جسد سمير ،المُرفَّه المدلل الأنيق الوسيم،
ولكن أمه ذات الجمال الجهوري صمت أعصابها وتوازنها النفسي بما أيقظ في
أمومتها من حاسة الزهو أمام تحوّل إبنها رجل يتحدى دولة هزمت دولاً، فرفعت أحزانها إلى كبرياء .
حكموا على سمير بالسجن المؤبد وفي السجن إستطاع أن يُمثِّل دور المتعاون
مع إدارة السجن ،
متحملاإهانات زملائه الفدائيين،لينفِّذ خطته ويعمل في مطبخ السجن،
حيث حصل على ما يحتاجه من ادوات حادة،
وعكف شهراً على قطع قضبان الزنزانةإلى أن حانت ساعة الصفر
وتمكن من تهريب بعض زملائه السجناء.......

أصرّ على أن يكون آخر الناجين،
إلى أن انتبه الحراس إلى العملية وانتزعوه من قضبان النافذة ليحكموا عليه،
مرة أخرى بالسجن المؤبد الثاني
بعد محاولة أخرى حكم على سمير بالسجن المؤبد الثالث ،

وهكذا كان على سمير أن يعيش ثلاثة أعماراخرى ليتم إطلاق سراحه .
وفي عملية تبادل أسرى خرج"سمير"إلى نور الوطن العربي الكبير،
فلم يصدق الفارق بين الفكرة وصورة الفكرة،
ولم يصدق التنافر بين الحلم وأداة الحلم،
فلجأ إلى مفاضلة السجناء التقليدية بين
الحرية الخارجية الشكلية وبين الحرية الداخلية المجازية
المنبعثة من تماسك اليقين وسلام النفس والارتباط بالخارج برباط المثال .
لقد ألِفنا شكوى الخارجين من حريتهم الداخلية إلى حريتهم المشوهة،
وألفنا خيبتهم من كل ما يخدش مخيلتهم عنا وتصورهم عن الخارج .
قال لي سمير:حين إلتقيته بعد عشرين عاماً في دمشق:أهذا هو الوضع؟
ليس من اجل هذا دخلت،وليس من أجل هذا خرجت .
ولكن ما فيه من وفاء لارتباط الاطار والفكرة حال دون ذهابه بالخيبة إلى منتهاها ..
وإلى إستبدال الاطاروالأداة بما هوأكثر توازنا وانسجاما

كان شديد الخيبة من المؤسسة وشديد الالتحام بها .
ليس في وسع رجل مثلي قال أن يغيّر جلده خوفا من ارهاب المؤسسة
بل خوفا من انهيار احد عناصر التوازن
فلأعتبِر نفسيسواء كنت في هذا التنظيم أو ذاك خادما لفكر فلسطين وشعبها،
دون أن أقبل الانسياق في صراع التنظيمات وفي خداع تبعية بعضها،
وهيٍ لاتشملني إلى هذا النظام أو ذاك .
كان يسيج نفسه ويميزها بالجناح المطلق من الفكرة .
كان يخشى أن يؤدي إلى تعديل في إطاره إلى الطعن في صدق تاريخه وفي حرارة تضحيته
لأن الاعتراض في غياب الوطن والمجتمع وما يبلورانه من سلّم قيم
قابل للشك والتشكيك في حروب كلام لا تضبطها ضوابط أخلاقية ووطنية .
ولم يسفر مثل هذا النوع من الحوار الوطني إلا عن إغتيال،
ولم يبرأ من تراشق هذه التهم أحد منّا .
ثم استقر سمير في بيروت ليواصل أسئلته الجارحةحول الحرية في السجن،
والسجن في حرية قابلة للفساد وإلغاءنظام العقوبات،
حتى لو تمكن أحد الناطقين باسم هذه الحريةمن تدمير بناية على ساكنيها
لتصفية حساب مع عضوفي التنظيم دون أن يفقد عضويته في القيادة
وحقه في تمثيل نظام عربي تمثيلا مدويا في القيادة !!!
لعل المحاكمة التي تستحقها الثور ةهي أنها كانت خالية،وما زالت خالية،

ومازالت خالية.............
من تقاليد محاكمة أعضاء القيادة على جرائمهم المدوية.
واقتصرت المحاكمة على تتبع جنايات أخلاقية يرتكبها شهداء المستقبل

خلال حكم بحثهم عن متع عابرة في سيجارة حشيش أوامرأة تغوي،
قبل أن يتحولوا الى منصة للخطابة.
كان يصعب على سمير وعلى امثاله الخارجين من السجون الاسرائيلية
أن يدركوا كيف يقفز بعض ممثلي المخابرات على درجات سُلّم القيادة
بذريعة المحافظة على توازن تعبرعنه الثورة في علاقاتها بالدول.
هل نحن جامعة الدول العربية؟
لم يتمكن من ادمان هذه التقاليد الملتبسة لأنه ينضج الى درجة الواقعية
التي تتطليب استيعابها الأشواط التي قطعها الخطاب السياسي
الفلسطيني في علاقته المعقدة بالقاعدة العربية والقمة العربية،
حتى وجد هذا الخطاب نفسه أسيرها لابنها المدلل،
منذ انقسم السؤال الديمقراطي عن السؤال القومي
وذهب كل واحدفي اتجاه معاكس،
فاستمدت الوحدة الوطنية أحد مقوماتهامن تضامن الحكومات في المنظمة
لا مع المنظمة!!!
ولكن سمير المضرج بالأسئلة عن الحرية في السجن وعن السجن في
الحرية،
انخرط في موجة تساهل عام جرفتنا جميعا الى شاطئ القدرية

ولأنني أعرفه منذ الطفولة،لم أذهب اليه في المستشفى،مستشفى
البربير.
لن تعرفه قالوا لي.
وإذا كنت تحبه قالوا لي_صلِّي له أن يموت،
لأن الموت راحته الوحيدة..فقد دخل في الكوما...دخل في الموت حيّاً
إذن،لم يُطلق سراحه.
لقد لاحقوه حتى بيروت.
استبدلوا احكام السجن المؤبد بالإعدام قصفاً بالطائرات.
مات سمير....مات حبق العائلة.

ا اريد أن أموت مشوّهاً بين الأنقاض،
أتمنى أن أُقصَف على حين غفلة..في الشارع
أتمنى أن أحترق تماماً...أن أتفحّم،
فلا يعثر دود الرواية إياه على وظيفته الخالدة فيّ ...
إذ ليس من عادة الدود أن يأكل الفحم.
وهكذا،سأقول لنفسي إني أبحث عن جريدة..لأبرّر
سيري في شارع لا قطة فيه ولا كلب.
لم آبه بما يحدث خارج الزجاج.قذائف.صواريخ.بوارج.طائرات..
تهبُّ عليّ كما تهبُّ الرياح....
تنزل عليّ كما يهطل المطر ....
تتحرك كما يتحرك الزلزال.
لاتستطيع الإرادة البشرية أن تغعل حيالها شيئاً كأنه قدر لا يُرد.
كلُّ ما تمخضّ عنه الخيال البشري من إبداعات الشر الخارقة،

وما بلَغته التكنولوجيا من تقدم،يجري امتحان فاعليتها في أجسادنا اليوم.
أيكون هذا اليوم أطول يوم في التاريخ؟
لاأحد يغسل الموتى،فليغسل الميت نفسه بنفسه،
أعني بدم فائض عن الماء.
أجمع ثروتي المائية،واستخدم كل قطرةمنها بحرص فائق.لكل قطرةدور.
أكاد أعدُّ قطرات الماء:خمسمائة قطرة لغسل الشعر...
ألفان للجسد...مائة للفم....مائة للحلاقة...عشرون للأذنين..
خمسون لكل إبط...و....و....ولكل قطرة قطعة من الجسد.
ما الماء؟من قال إن الماء لالون له ولا طعم ولا رائحة؟ماالماء؟..
كيمياوياً:يد أ.ياء.وال.اثنان.ألف .أهذا هو كل شيئ؟
ولكن ماهذه النشوة التي تفتح الجلد لتوصلنا إلى عيد هنالك..
في أرجاء الجسدوضواحيه فيقترب من طباع الفراش.
الماء فرح الحواس وما يحيط بها من هواء.الماء هو الهواء
المقطّر المحسوس المغموس بالضوء.

ولهذا حضّ الأنبياء شعوبهم على حب الماء"وجعلنا من الماء كل شيئ حي"
أتذكر رسالة ابن فضلان فأتقّزز من ماء في وعاء كان يفسد جيشاً بأكمله.
لقد قطع عنّا ممثلوا نفايات الصليبيين الماء،بينما كان صلاح الدين الأيوبي
يرسل الثلج والفواكه إلى أعدائه"لعل قلوبهم ترق"كما كان يقول.
وأضحك فجأة من أغنية تقول"المية تروي العطشان"وأتساءل:
كيف عرف المغنّي هذا الاكتشاف المبهر؟
وفي تل الزعتر كان القتلة يصطادون الفلسطينيات على نبع الماء،
على ماسورة الماء المكسورة،كما يصطاد الصيادون الغزلان العطشى.
الماء القاتل.الماء المخلوط بدم العطشى الذين غامروا بحياتهم من أجل كوب ماء.
الماء الذي أشعل حروب البدو في الزمن القدِيم.
الماء الصالح لتحسين شروط التفاوض لدى مَن لم يلمس الماء انسانيتهم اليابسة.
الماء الذي حرّك ملوك العرب وحملّهم مشقة الاتصال الهاتفي مع الرئيس الأمريكي
لأجراء مقايضة رابحة:خُذْ الدم وهات الماء،خذ النفط وهات الماء.خذنا وهات الماء!!!
..وصوت الماء ضجيج عرس،أعلى أعلى من أصوات الطائرات.
صوت الماء مرايا لعروق الارض الحية.
صوت الماء هو الحرية.
صوت الماء هو الانسانية.

وما أن يُعلن البيت البيض في واشنطن عن عودة الماء الى بيروت الغربية حتى
يهب المحاصرون الى حنفياتهم إلانحن...نحن سكان هذه البناية العالية_

العالية الى اعلى نداء العطش.فقد حاصرنا صاحبها قبل حصار بيروت بسنين،
منذ انحلّت السلطة فجُنّ هو بسلطته:السلطة على الماء،
ما إن يتشاجرمع أحد المسأجرين أو مع زوجته،أو مع حسابه في البنك،
حتى يهب الى قطع الماء عنا جميعاً،
لذلك ربّى فينا الصبر على الماء ربى فينا مدائح الماء.
وعلّمنا ان نفرح بالماء حين يتدفق ساعة كما لم تفرح به قبائل داحس،
وحوّلَنا الى حراس انابيب ،نتجسس منذ الفجر على صوت الماء المرتقب.
وحين نسمع غرغرة الماء نعلن العيد ونجمع ما تهبنا رحمته من الاواني
والقناني والصحون والكؤوس وفي جيوب المعاطف الجلدية،
فالماء في هذه البناية كنز نُجلِّه بالطقوس،ونتحدث عن سيرته في سهراتنا
لقد وحّدنا الماء والحديث هنه وجعلنا عائلة واحدة.
ولكن صاحب البناية يغار من شارون وينافسه في السادية.
فحين تبتهج بيروت الغربية بالإفراج عن الماء .....
نكتفي بدور التضامن،لأن هذه البهجة لا تشملنا ولأنّ الماء لا يصل الينا.
نحن آخر الأسرى يا أبا ربيع.
اغفر لنا ذنوباً لم نرتكبها ياأبا ربيع.
الدنيا حرب يا أبا ربيع.
والعفو عند المقدرةيا أبا ربيع،
وما من سميع وما من شفيع.
إلى أن إضررت الى الاستعانة باللجان الشعبية المسلحة التي أفرجت عن الماء بقوة.
فنسينا الحرب ونسينا الحصار من فرط ما فرحنا بالماء...

أهبط على الدرج الحجري الطويل وسط الزجاج المهشّم .
لاأعرف إن كانت الطوابق السفلى قد أصيبت .
وأتساءل ماذا أفعل لو إنقضّت عليّ جثة؟
كيف سأحملها؟ولمَن أنقلها؟
ماذا أفعل لو لم أجد أحداً أتحدث إليه،
لمَن أنقل كلامي ومَن يشاطرني صمتي؟
سأصفِّر لحناً..مطلع أغنية من أغاني بيروت المتفجرة من هذه الحرب .
لم تكن بيروت للغناء،ولم يستخدم الشعر اللبناني اسم بيروت
القابل للاستعمال في جميع بحور الشعر .
اسم موسيقى ينساب بسلاسة في قصيدة النثروفي القصيدة ...
وماذا أفعل لو لم أجد قطة أداعبها؟
ماذا سأفعل لو لم أجد ما أفعل؟
على الطابق الرابع باب مفتوح.صباح الخير ياأستاذي _
هكذا كنت أخاطبه منذ عشر سنين.في الثمانين من العمر،
وسيم هادئ،كأنه قلب يمشي على قدمين .
رحل من منزله الكائن على خطوط التماس بعدما إنهارت عليه جدرانه

الثلاثة،
وأقام في شقتي ستة شهور عندما كنت مختفياً في أوروبا،
ثم أقام في شقة ابنته .
كنت أزوره يومياً وأحمل عنه عبئ الحرب .
وأحمل له الكعكةوالجريدة ،
كان شاعراً مجدداً،ولعله أول مَن كتب قصيدة النثر
ثم توقف عن كتابة الشعر ليتفرغ كلية لمجلته الادبية الشهرية .
كان هو هيئة التحرير والادارة والموزّع والمصحح ...
لم تعادل شكواه من وحشية القصف غير شكواه من الماء وصاحب البناية.

كان يأنس إليّ والى أحفاده ،كان يتقبّل زوجته ذات الشخصية الطاغية بابتسامة اعتذار عن ذنب لم يرتكبه .وحين كان يصرخ من الألم العصيّ الذي يسببه إلحاح الطائرات المغيرة:كفى،ماذا تريدون منّا .
نحن نعرف أنكم اقوى منّا،ونعرف أنكم تمتلكون طائرات أحدث،
وأسلحة أشد فتكاً.ولكن ماذا تريدون منا...كفىّ ....
كانت زوجته تزجره:دعهم....وشأنهم عايزين يضربوا الفلسطينيين .
وكنت أمازحه لأقطع تيار الحرج المكهرب حقاً،لماذا تعرقل عمل الطيارين؟
فيضحك،وهي لاتضحك.كانت في داخلها التربوي المعادي لما هو خارج طائفتها
تحتفل بالخدمة المجانية التي يقدمها الاسرائيليون لبطل أحلامها الوحيد:بشير الجميّل،
كانت تعتقد أن هذه الحرب مجرد تطوُّع اسرائيلي لتنظيف لبنان من الغرباء والمسلمين،
وحين ستنتهي بوصول بطل أحلامها إلى رئاسة الجمهورية،
وبخروج الغرباء من لبنان،سيعود الاسرائيليون من حيث جاؤوا دون أن يحصلوا على أي أجر .
كان في وسعك أن تجادلها في سيرة السيد المسيح والسيدة مريم العذراء
ورسائل بولس دون أن تنفعل
أما البشير،فتحيط اسمه بحزام التابوت المقدس.ياسيدة لبنان احفظيه لنا !!

ومع ذلك لم أكنّ لها العداء بل الاحساس بالشفقة على ما قطَعَته من اشواط الوهم ورفض الآخر .
ولم أحمل لها الضغينة،بل حملت لها ما أجده لدى الباعة ومن خبزوعنب .
فأمام مثل هذا الانغلاق الصلب والتشكُّل النهائي تتوقف محاولات الاقناع .
وعبثاًحاول الاستاذ ذوالماضي العلماني أن يُقْنِعها أنّ الاسرائيليين لا يحبون

لبنان ولا يدافعون عن لبنان،وأن صاروخاً واحداً من طائراتهم سيحولنا نحن الموارنة والمسلمين الى كَفْتة،وهي،هي المحصنة بقناعاتها النهائية،تحب المناقشة العقيمة
ويسألني الاستاذ رأيي ليساعدني عليها،فأتجنب الاستفزاز وما قد تغدقه

عليّ من باطن،
قائلاً:ليست تلك مشكلتي،فتُحرّك هي الماء الراكد بقولها:إذن ماهي مشكلتك؟
أناور قائلاً:مشكلتي هي أن أعرف ما مشكلتي .
وفي المناسبة،هل أفرج صاحب البناية عن الماء؟
تقول:لا تتهرب مما نحن فيه،أنت تعرف أن لامشكلة بين الموارنة واليهود
أقول:لاأعرف ذلك .
تقول أنت تعرف أننا حلفاء.

قول:لا أعرف
تقول:إذن ماذا تعرف؟
أقول:أعرف أن للماء طعما ولونا ورائحة
تقول:لماذا لا تذهبون الى بلادكم وتنتهي المشكلة؟
اقول:هكذا ببساطة نعودالى بلادنا وتنتهي المشكلة؟
تقول:نعم/أقول:ألا تعرفين أنهم لايسمحون لنا بالذهاب الى بلادنا؟
تقول :إذن حاربوهم/أقول:ها نحن نحاربهم،ألسنا في حالة حرب؟
تقول:أنتم تحاربون لتبقوا هنا ولا تحاربون لتعودوا .
أقول:كي نعود الى هناك،لابد أن من نكون في مكان ما،فالعائد ...إن عاد...لا يعود من عدم .
تقول:لماذا لا تقيمون في البلاد العربية وتحاربوهم .
أقول:قالوا لنا ما تقولينه الآن.طردونا،
وها نحن نقاتل هنا مع اللبنانيين دفاعاً عن بيروت،ودفاعا عن وجودنا .
تقول:حربكم بلا هدف ولا توصِل الى نتيجة .
أقول:قد لاتوصل الى نتيجة ولكن هدفها هو الدفاع عن النفس .
تقول:عليكم أن تخرجوا من هنا .
اقول:لقد وافقنا على الخروج.سنخرج.وهاهم يمنعونا من الخروج ولكن ألا يعنيك الى أين سنخرج؟
تقول:لا يعنيني/وارتفع من الراديو صوت فيروز:بحبك يا لبنان .
ارتفع من اذاعتين متحاربتين،
قلت:ألا تحبين هذه الأغنية/قالت:أحبها:وأنت؟
قلت أحبها كثيرا،وتوجعني .
قالت:بأي حق تحبها؟ألا ترى الى أي حد تماديتم .
قلت:إنها أغنية جميلة..ولبنان جميلة.وهذا كل مافي الأمر .
قالت:عليك أن تحب القدس،
قلت:احب القدس،والاسرائيليون يحبون القدس ويغنون لها،
وأنت تحبين القدس وفيروز تغني للقدس وريكاردوس أحب القدس .
قالت:لا...أنا لاأحب القدس.

الشارع.الساعة السابعة صباحا,الأفق بيضة ضخمة من فولاذ .
لِمَن اقدِّم صمتي البريئ.صار الشارع أعرض .
أمشي على مهل وأمشي على مهل وأمشي على مهل

كي لا تخطئني طائرة.يفتح العدم أشداقه ولا يبتلعني .
أسير بلا هدف كأنني أتعرّف على هذه الشوارع للمرة الاولى،
وكأنني أسير عليها للمرة الأخيرة .
وداع من طرف واحد،أنا المشيّع والمشيّع،لو قطة...لو أجد قطة،
لا حزن،لافرح،لا بداية،لا نهاية،لا غضب،لارضا،لا ذكرى،
لا حلم،لا سلام،لاماض،لا غد،لا صوت،لا صمت،لا حرب،لا حياة،لا موت،
لا...لا،تزوج الموج طحلب الصخرة على شاطئ بعيد
وخرجت للتو من هذا الزواج الذي دام مليون سنة،
خرجت للتو فلم أعرف أين أنا.لم أعرف مَن أنا ..
لم أعرف ما اسمي،ما اسم هذا المكان .
لم أعرف أن في وسعي أن أمتشق ضلعاً من ضلوعي لأجد فيه حواراً لهذا السكون المطلق .
ما اسمي،مَن سمّاني،مَن سيسميني:آدم!!

أسير وسط الشارع تماماً،ولايهمني أين أعرف الى أين انا سائر،
وكأنني في سرنمة.لا أخرج من شيئ ولاأدخل في شيئ .
ولكن هدير هواجسي المتلاطمة يعلو على هدير طائرات لاأكترث بها .
لم نفهم لبنان.لم نفهمه أبدا،ولن نفهم لبنان،ولن نفهمه أبداً .
لم نر من لبنان غير صورتنا على وجه الحجر المصقول ،
مُخيّلة تُعيد خلق العالم على شاكلتها،
لا لأنها واهمة بل لأنها في حاجة الى أن تضع للخيال موطء قدم .
شيئ من صناعة الفيديو:نكتب القصة والسيناريو والحوار
ونوزّع الأدوار دون أن ننتبه الى أننا الموزّعون في أدوار .
وحين ننظر الى وجوهنا ودمنا على الشاشة،نُصفِّق للصورة
ناسن أنها من صناعتنا وما إن يتحول الانتاج الى اعادة إنتاج
حتى يصدّق الآخر هو الذي يشير إلينا.

هل كان بمقدورنا أن نرى بشكل آخر غير ما يُسهّل علينا تأليب الواقع على ماديته؟
بنيتنا التحتية هي المعنويات،
ماركس واقفا على قدميه مُعيداً هيغل للوقوف على قدميه بأدوات ميكافيللي
الذي أسلم على باب خيمة من خيام صلاح الدين،
ألأنّ لبنان هو هكذا يستعصي على الدراسةوالإدراك؟
أم لأننا لا نملك من أدوات معرفة لبنان غير الطريقة في التوفيق؟
لا أتورّط بالإجابة بقدر ما أزجُّ نفسي في حيرة:لا أحد يفهم لبنان،
لاأصحابه المجازيون ولا صُنّاعه،لا مدمروه ولا بُناته،لا حلفاؤه ولا أصدقاؤه،
لا الداخلون ولا الخارجون،
ألأنّ الواقع المُفكّك لا يُدرَك،أم لأن الوعي المفكك لا يُدرِك؟
ولاأريد جواباً صحيحا بقدر ما اريد سؤالاً صحيحا،
لم نرى من لبنان غير اللغة التي تُشيع فينا غريزة الوجود،

وعلاقة قربى رفعها الى مستوى الخطاب القومي ذلك المصري الكبير
عبد الناصر الذي خاطب في سكان هذه القارة المتحولة الى فيسفاء
حاسّة الغياب المرهفة،
وسمّى من النهر ضفافا تُخفي ما في النهر من وَحْل،وطوائف،
ونفايات الصليبيين التي كانت تُجدِّد حياتها في هدوء الظلام،خلف
دوي الخطاب....الى أن انكسر الخطاب فتقدمت بخطابها شبه المشترك .

فيديو ....
أن نرى ما تريحنا رؤيته،في لحظة يتحول فيها شريط حياتنا إلى هذه
الرؤية،
المتحدرة من الخطاب الكبير،في محاولة لتحويلها الى وعد تراجع عن
الوعي
فصار ممثلوا الأغلبية أقلية محاصرة

فيديو ...
لأن الزمن ليس زمن أنبياء :تتحول فيه العزلة إلى بوصلة صواب،
والأقلية المترسبة من مشروع الأكثرية إلى هداية.....

فيديو .....
لأن حزيران المصنوع ليكون الفكرة العربية لا تحيله الأنظمة المشاركة في
صناعته،
الى انتقام الشارع ليكون بداية البديل،بل لامتصاص ما ينبغي امتصاصه من
غضب لا يُرَّد،
تُجري أثناءه الأنظمة عملية تثبيت انعطافها نحو الفكرة الاقليمية،والفكرة
الطائفية .

وفيديو ...
لأن سقوط المركز بالتوقيع على معاهدة تضمن نهاية الحروب،
يأذن بهجوم الأطراف على مركز الموضوع،
ونقله من موضوع دعوة الى موضوع انشقاق وفتنة .

وفيديو ...
لأن اقتسام الساحل والجبل بين العرب والافرنج،في هذه الشروط
المعاصرة
لا يرمي الى ضمان احتفاظ العرب بما تبِّقى لهم من قلاع ومدى،لمواصلة
الصراع،
بل يرمي الى منح العدو هدنة توفر له امكانية تأسيس نماذج كفيلة
بانتقاله
من استثناء الى قاعدة .

فيديو ...

لأن هذا الضلع المكسور مطلوب للمحاكمة بتهمة الاعتداء على راحة العروش
بترويج كلمات ممنوعة التداول في الأوساط العربية :
امرأة،معارضة،أحزاب،كتاب،برلمان،حرية،ديمقراطية،شيوعية،علمانية ..

فيديو ..
لأن فلسطين تتطور من وطن الى شعار ليس للتطبيق،
بل للتعليق على الأحداث ولتزويق خطاب الانقلاب،
وحلِّ الأحزاب،ومنع زراعة القمح،
واستبدال الكدح بالربح السريع،
والى تطويرِ صناعة الانقلاب الثقيلة منها والخفيفة،
الى أن يُعقَد القِران على آخر حفيدات الخليفة..

وعلى الحدود تُعلن الحرب على الحدود
لذلك كان علينا أن نرى من لبنان غير ما رأيناه من صناعة الأمل،
وجه البطولة الساطع المتفجر من المدافعين عن بأسهم العظيم أمام أمل الصدَفة المنغلقة ومن هجوم بحر الصحراء على جزيرة الروح الصغيرة.
أسماء الأمكنة تضيق وتنكمش.
من الوطن الممتد من المحيط الى الخليج الى ما هو أضيق:
شرم الشيخ،جبل الشيخ،الضفة الغربية لنهر الأردن،مدرسة البنات في نابلس،
حارة السجعية في غزة،غاليري سمعان،شارع أسعد سعد في بيروت،
فندق طابا في سيناء،مخيم شاتيلا،مستديرة المطار،
الى متراس أخير تكون بعده الصحراء أو البحر.

لتتقدس أيديكم أيها القابضون على الحجر الأخير وعلى الجمر الأخير..
لتتقدس أيديكم الرافعة وحدها جبالاً من أنقاض الفكر اليتيمة،
وليتحول ظلكم المحروق الى رماد عنقاء يُجدِّدكم لتبنوا منه ومنكم مغارة لطفل يُولَد.
ولتُنبِت أسماءكم حبقا وريحانا على سهل يمتد من خطاكم،
سهل لتهتدي حبَّة القمح الى ترابها المسروق،
أيها المشرقون فينا أقمارا
يعجنها دم سخي ينادي حرّاس القلعة الهاربين الى صفوف الأعداء،
فما يجيب سوى الصدى الساخر:
وحدكم!!
من آثار خطاكم الخطى التي لا تخطو إلا تحت أو فوق،
سنلُم الجزر المتطايرة المتنافرة
كما يلُم الشاعر البرق من حوافر خيل على صوّان.
ومن خيمة هي مايسيل علينا من ريش الصقور المعدنية
سندُل القبائل على حدود أسمائها.

وحدكم...فاحموا حد النشيد،كما تحمون مما يثلم
القلب في هذه البرية الضيقة،الضيقة كمدى لا يطل من النافذة..
وحدكم...
البحر من ورائكم ومن أمامكم وعن يمينكم وعن شمالكم
ولا يابسة إلا هذه اليد التي تمسك بحجر هو الوطن.
وحدكم...
فارفعوا مائة مدينة أخرى على هذا الزناد لتخرج المدن القديمة
من اسطبلاتها ومن سلطة الجارد النابت في خيام الفراء الصحراوي..
لم يبق لنا من موت إلا موت الموت....
وحدكم،
تحمون سلالة هذا الساحل من إختلاط المعاني،
فلا يكون التاريخ سلس المِراث،
ولا يكون المكان إرثاً يورث.
ولتتقدس أيديكم أيها القابضون على الحجر الأخير والجمر الأخير.

وداعا سيدي
الى أين؟
الى الجنون
أي جنون؟
أي جنون ...فقد صرت كلاماً .
....
مسّني ما مسّني من حماسة،وواصل الفضاء المحتّل وجبل صنوبر المُحتل

قصف الهواجس الاولى وسيرة خروج آدم من الجنة،المتعدد في سير خروج
لا تنتهي،
لم يعد لي وطن،ولم يعد لي جسد
وواصل القصف أناشيد المدائح وحوارات الموتى
المتحركة في دم كالضوء يحرق الأسئلة الباردة،
عمّ أبحث؟
عن امتلاء بالبارود،عن تخمة لغضب النفس .
تدخل الصواريخ في مسام جلدي وتخرج سالمة.ما أقواها !!
ولا أحس بالجحيم الذي يوزعه الهواء
طالما صرت أتنفس هذا الجحيم وأتصبب جهنم .
وأريد أن أنشد،نعم ،أريد أن أنشد لهذا النهار المحروق،
أريد أن أنشد .
أريد أن أجد لغة تحول اللغة الى حديد للروح،
الى لغة مضادة لهذه الطائرات ..
الحشرات الفضية اللامعة..أريد أن أنشد .
أريد لغة
تسندني وأسندها،
وتشهدني وأشهدها

على ما فينا من قوة الغلبة على هذه العزلة الكونية .
وأمشي لأراني ماشيا،
ثابت الخطوة،حراً حتى من نفسي في منتصف الشارع تماما
تنبح عليٍّ الوحوش الطائرة.تبصق نارها ولاأبالي،
لاأسمع إلا وقع خطاي على الاسفلت المحفور .
ولا ارى أحداً
عمّ أبحث؟لا شيئ،
لعل عناد التحدي الذي يخفي خوف الوحدة،
أو الخشية من الموت بين الأنقاض هوما يُمسك بخطاي
ويضرب الشوارع النائمة.............

لم أرَ بيروت ن قبل في مثل هذا النوم الصباحي،
ولأول مرة أرى الأرصفة،أرصفة واضحة،
ولأول مرة أرى الشجر،
شجراً واضحاً،بجذوع وأغصان وأورواق دائمة الخضرة،
هل بيروت جميلة في حد ذاتها؟
كانت الحركة والحوار والزحام وضوضاء التجارة تخفي هذه الملاحظة.
وتحولّت بيروت من مدينة الى مفهوم ومعنى ومصطلح ودلالة.
كانت تطبع الكتب،وتوزع الصحف،
وتعقد الندوات والمؤتمرات لتعالج قضايا العالم ولا تنتبه الى ذاتها.
كانت تمدّ لسان السخرية لما حولها من رمل وقمع،كانت ورشة حرية.
وكانت جدرانها تحمل موسوعة العالم الحديث.
وكانت تصنع الملصقات.
وقدتكون هي أول مدينة في العالم طورّت صناعة الملصقات
الى مستوى الجريدة اليومية ،
ولعل قدراتها التعبيرية المتشكلة من:
تنوع،وموت،وفوضى،وحرية،وغربة،وهجرة،وشعوب،
قد إمتلأت وفاضت عن جميع أشكال التعبير المعروفة،
فوجدَت في الملصق ما يستوعب فائض التعبير عن اليومي،
حتى أصبح الملصق لفظة دارجة في القصائد والقصص ليشير الى
خصوصية.
وجوه على الجدران،شهداء طازجون يخرجوت للتو من الحياة ومن المطبعة،
موت يعيد إنتاج موته،شهيد يزٌج وجه شهيد آخر عن الحائط ويجلس مكانه
الى أن يزيحه شهيد جديد أو مطر،وشعارات تمحو شعارات،
تتبدل،وترتب أولويات الحماسة والواجبات الأممية اليومية،
كل ما يحدث في العالم يحدث هنا،إنعكاسا تارة،ونموذجا تارة.
وقد يتشاجر متفقان في مقهى باريسي
فينقلب شجارهما الكلامي الى إشتباك مسلّح هنا،
لأن على بيروت أن تتضامن مع كل حركة جديدة ونظرية جديدة.
سينما ثورات سريعة الدوران.فيديو للتطبيق المباشر.
القائد الجديد أو النجم الجديد في أي مجال مرشح ليكون قائدها أو نجمها.

تطفح جدرانها بالصور والكلمات،ويلهث المارّة وراء وعي يتبدّل
لذا فإن أعمار النجوم والقادة هنا قصيرة،
لا لأن الجمهور هنا سريع الضجر،فالجمهور ليس هنا،
بل لأن السباق يجري على النمط الأمريكي ولو كانت أهدافه معادية
لأمريكا،
فهنا مندوبون دائمون لأي وعي جديد،ولأي نغمة جديدة،ولأي طفرةجديدة.
من الولّاعة المتدلية من صدر فتاة الجينز دليلاًعلى الافراط في اليسارية،
الى حجاب يغطي الوجه واليدين دليلا على الأصالة،الى تلّقُف كل إشارة
تضع كارل ماركس في فهرست الاستشراق،دليلا على هبوب رياح
الشرق.
هنا محطة تحويل كونية لكل خروج عن السياق،وتعميمه الى برنامج
لشعب
مشغول بتأمين خبزه وماءه وبدفن قتلاه.

أمشي في شارع لا يمشي فيه أحد،
أتذكر أني مشيت من قبل في شارع لم يمشِ فيه أحد
وأتذكر أن أحدا لم يكن معي.قال لي:
دَعْكَ من هذا الحوار،وتعال معي
الى أين؟
لترى هذا الرجل
ماذا يفعل هذا الرجل؟
يذهب الى بيته.
ولكنه يمشي الى الأمام ويعود الى الوراء
تلك طريقته في المشي
إنه لايمشي،إنه يتأرجح.إنه يرقص.
راقِبْه جيدا.عُدَّ خطواته..
واحدة،اثنان،أربع،سبع،تسع الى الأمام....
واحد،اثنتان،ثلاث،سبع،ثمان الى الوراء..
ماذا يعني ذلك؟
إنه يمشي في هذه الطريقة وبها وحدها يعرف الطريق الى البيت:
عشر الى الأمام وتسع الى الوراء،أي أنه يتقدم خطوة.
وإذا سرح ذهنه وأخطأ في العد؟
عندها لا يصل الى بيته
هل تعني شيئاً؟
لاأعني شيئاً
....

قريبا من فنق الكافالييه نظرت الى ساعتي،إنها الثامنة،
هل صحاالشاعر"ي"من النوم؟
مَن يستطيع النوم تحت هذه القطعان من الطائرات؟

أثار فضولي أن أعرف كيف يقدر الشاعر على الكتابة،
كيف يجد لغة لهذه اللغة،
و(ي)هو الشاعر صاحب القصيدة اليومية المرئية،
المتأنية،القادرة على التقاط تفاصيل دالة على جوهر إنساني .
هو الشاعر القادرِ على تحريك الفرح من الركام وعلى إيقاظ الدهش،
وهو حين يكتب يُغنيني عن الكتابة،
لأنه يقول نيابة عنّا ما نحس بالرغبة في قوله .
يملأني بشجن يوقظ صفاؤه فيّ مادة الفرح،
ومادام هذا الشعر يكتب فلاأجد دليلاً ملموساً على مأزق الشعر .
وهو باختصار شاعري التقيته أول مرة في بغداد وسرعان ما حاول إغتيالي،

لأنه شرب ما تُيسره المائدة من كحول لا تتجانس إلا لتتشاكس،
فهو لا يعترف بفروق الكحول ،الكحول هي الكحول،ما الفرق؟
بيرة،ويسكي،نبيذ،عرق، كلُّها تُجنِّنْ .
وحين كان يوصلني في آخِرِ الليل بسيارته الى فندق بغداد،
كان يحاول دفع السيارة بِمَن فيها للسباحة في نهر دجلةلولا استغاثة الصاحية .
قال ليُهدِّئ من روعنا:لا تخافوا فأنا الآن موظف في دائرة الري،نعم،الري
وأخيراً انتقل من دائرة الري في بغداد الى دائرة الدم في بيروت،
كُنّا نُحيي أمسيات مشتركة في بيروت ودمشق،
وفي صور منذ أسابيع في إحدى قواعد المقاتلين رأيته ليلة أمس قرب فندق بلازا .
تَعرَّف عليّ وسط الظلام الكحلي بواسطة مصباح يدوي،
فصرخ بي:كيف تسير وحدك بلا حراسة؟
قلت:ومتى سرت بحراسة.قال:لماذا تقف هنا؟
قلت:أنتظر سيارة أجرى لأذهب إلى غرفة العمليات
....
أنتظرالشاعر في ردهة الفندق،
ولكن،لماذا يطلع الحلزون في وجهي؟
حلزون طويل
حلزون لا يكف عن استعراض رخاوته .
يلعب على المقاعد والجدران .
يدلق لعابه الأخضر على فتاة تعزف البيانو
حلزون يبكي\حلزون يضحك
حلزون يسكر يدخل الشاشة .
يخرج من الشاشة .
يعلِّق بصره الزائغ على اللاشيئ
حلزون لا ينظر.يتهاوى.يتمايل .
يتأود.يتنهد.يتخلّع.يتسكع .
حلزون يسير على قدمين من مطاط
يتأرجح .

ولماذا يطلع الحلزون في وجهي هذا الصباح؟
اللهم إحفظنا من بشاعة المنظر .
....
ينزل الشاعر من غرفته متكئاً على جرادة ..
أفّ...أهذا أيضاً.ماالذي جاء بي الى هذا المكان .
نتعانق.أهزّ على كتفيه لأنفض عنه سمات النعاس،
كيف حالك؟متشائم.هذا يوم عجيب يا أخي .
مش معقول يا أخي.لم يتوقف القصف ثانيةً .
إنهم يحرثون المدينة.أين كنت؟في شقتي..مجنون ..
مجنون ياأخي،كيف تنام هناك؟غداً سأنام هنا...ولكن
أينقصنا أن يُسفر القصف عن حلزون وجرادة؟
ماذا تعني؟لا أعني شيئا؟؟
عشر خطوات الى الأمام،وتسع خطوات الى الوراء .
النتيجة خطوة الى الأمام ..حسناً!!هذا حسن ..
حطّت جرادةأخرى خائفة على حضني .
ارتدَت عِفّة الخوف من الطائرات لتحتك بما يُحَك .
قلت لها مازحاً و ناصحاً:هذا يوم لا نهاية له .
عندهم ألف طائرة تستطيع القيام بعشرة آلاف غارة،
واذا واصلت الرد على كل غارة بهذا الاحتكاك،فإني سأجّف
سأصير رجلاً مثموداً!!وألتفِتُ الى الشاعر:قل لي
لماذا تندلع شهوات الفتيات في أسوأ الحالات؟
أهذا هو وقت الحب،إنه وقت الشهوة الخاطفة .
يتعاون جسدان عابران على صدِّ موت عابر بموت آخر هو موت العسل.

جاء صديقنا"ف"ليساعدني على رفع الشاعر عن عبارة سقطت تحته :
ياأخي مش معقول .
هذا مش معقول .
هذا شيئ غيرمعقول .
إشتبك مع العبارة .
خنقها وتكوم فوقها .
ساعِدْني يا"ف"ساعدني على تخليص العبارة من تأتأة"ي "
نضحك ونقهقه الى حدّ أزعجْنا معه فتاة البيانو .
قلنا لها:ليس هذا وقت البيانو.ولا الضحك،ولا الشعر .
هذا وقت الطائرات،وهذا وقت الحلزون .
....
هل تكتبان؟سألنا"ف "
"ي"يكتب يومياً..وقرأ لنا احدى لقطات الكاميرا
الداخلية الحساسة التي لا يتخلى عنها .
وأنت؟سألاني .
قلت:إني أختزن حتى الاختناق،وأثير سخرية
زملائي القائلين:ما جدوى القصيدة ..

ما جدواها بعدما تنتهي الحرب .
ولكنني اصرخ في لحظة لا يصل فيها الصراخ .
ويبدو لي أن على اللغة ألا تزج بنفسها في معركة
أصوات غير متكافئة.صوتك الخافت يا"ي"أفضل .
ولكن ماذا تكتب؟

قلت أتأتئ صرخة :
أشلاؤنا اسماؤنا..لا..لامفَرٌ
سقط القناع عن القناع عن القناع
سقط القناع
لا إخوة لك يا أخي،لاأصدقاء
يا صديقي،لا قلاع
لا الماء عندك،لا الدواء لا السماء ولا الدماء
ولا الشراع ولاالأمام ولا الوراء
حاصر حصارك ...لا مفرٌ
سقطت ذراعك فالتقطها
واضرِبْ عدوك..لا مفر
وسَقَطْتُ قربك،فالتقطني
واضرب عدوك بي،فأنت الآن حرٌ
حرٌ
وحرٌ ...
قتلاك أو جرحاك فيك ذخيرة
فاضرب بها.اضرب عدوك..لا مفرٌ
أشلاؤنا أسماؤنا..أسماؤنا أشلاؤنا
حاصر حصارك بالجنون
وبالجنون
وبالجنون
ذهب الذين تحبهم،ذهبوا
فإما أن تكون
أولا تكون
سقط القناع عن القناع
سقط القناع،ولا أحد
الاك في هذا المدى المفتوح للأعداء وانسيان
فاجعل كل متراس بلد
لا..لاأحد
سقط القناع
عَرَبٌ أطاعوا رومَهم
عرب وباعوا روحهم
عرب..وضاعوا
سقط القناع عن القناع
سقط القناع

سألنا"ف":الى أين ستخرجان؟
قال"ي"الى عدن ..
وأنت؟سألني
قلت:لا اعرف .
صمت صمت من حديد.كنا ثلاثة،فصرنا واحد في ما
ينهار حولنا من عالم،كأننا نعتني بمواد قابلة للانكسار
ونحن نستعدُّ لاستيعاب عملية انتقال الواقع برمته الى
ذكريات،نحن الذكريات .
ابتداءً من هذه اللحظة سيتذكر بعضنا بعضاً كما نتذكر
عالماً بعيداً تلاشى في زرقة صارت أشد زرقة مما كانت عليه
سنفترق في أوج اللهفة .
ونحن الثلاثة نعرف الحقيقة:سنخرج ونعرف قسوة أقسى
لا يجرؤ أحد على أن يُرى وهو يراها :
إن الناس معنا لأننا خارجون .
قلت:لن أخرج،لأنني لاأعرف الى أين أخرج،
ولأنني لاأعرف الى أين أخرج فلن أخرج .
وسألت"ف"وأنت؟
قال:أنا باق،أنا لبناني،وهذه بلادي
فإلى أين أذهب !!
خجلت من سؤالي ومن فرط ما صارت بيروت نشيدي...ونشيد مَن لا وطن له
خجلت من شدة إلتباس الفكرة.
وفي فندق الكومودور وهو معقل الصحفيين الأجانب،
يستجوبني كاتب صحفي أمريكي:ماذا تكتب أيها الشاعر في الحرب؟
أكتب صمتي
هل تعني أن للكلام مدافع؟
نعم،صوتها أعلى من أي صوت
ماذاتفعل إذن؟
أدعو الى الصمود
وهل ستنتصرون في هذه الحرب؟
لاالمهم أن نبقى.بقاؤنا إنتصار
وماذا بعد ذلك؟
سيبدأ زمن جديد
ومتى تعود لكتابة الشعِر؟
حين تسكت المدافع قليلاَ
حين أُفجر صمتي المليئ بجميع هذه الأصوات
حين أجد لغتي الملائمة
أليس لك من دور؟
لا،لا دور لي في الشعِر الآن،

دَوْري خارج القصيدة،
دوري أن أكون هنا مع المواطنين ومع المقاتلين.

لقد وجد بعض المثقفين وقت الحصار ملائما لتصفية حساباتهم الصغيرة .
فشرعوا أقلامهم السامة في صدور زملائهم .
وعبثا كنا نصرخ:ما لكم وهذه الصغائر،
فليس أحد من الكتاب هو الذي يحاصر بيروت،
وليس تقصيرهم أو هروبهم هو الذي يهيل البنايات على سكانها
وفي أسوأ الأحوال ليست كتابتكم هذه أدباً .
وليست مدافع فعّالة مضادة للطائرات في أفضل الأحوال .
كلا_يقولون:هذا هو المحك الأول والأخير لثورية الكاتب والشاعر .
فإما أن تولد القصيدة الآن،وإما أن تُحرَم من حقها في الولادة .
وكنا نسخر:لماذا أذنتم لهوميروس بكتابة الإلياذة والأوذيسة؟
ولماذا سمحتم لأنجيليوس ويوربيدوِس وأرسطوفان وتولستوي وغيرهم؟
ليس ردّ الفعل واحداً_أيها الكتّاب فمَن يستطيع الكتابة الآن فليكتب .
وإذا أذنتم لي بأن أبدي رأيي دون إتهام فسأعبِّر عن ظنّي بأن
الجرحى والعطاش والباحثين عن الماء والخبز والملجأ
لا يطالبوكم بالغناء والمقاتلين لا يكترثون بغنائكم .
غَنّوا إذا شئتم أو فاصمتوا إذا شئتم.فنحن هامشيون في الحرب .
وفي وسعنا أن نُقدِّم خدمات أخرى للناس فإن تنكة من الماء تساوي وادي عبقر.

المطلوب منّا الآن هو الفاعلية الانسانية لا الجمالية الإبداعية .
فلتوقِفوا عمليات الاغتيال:وماذا لو انهارت أعصاب الناقد وخرج من بيروت؟
وماذا لو عجز المسرحي عن إجتياز الشارع من الخوف؟
وماذا لو أضاع الشاعر إيقاعه قليلاً؟
ألأن الناقد لم يُعجَب برواياتكم وقصائدكم تضربون عليه الحصار وتقصفونه بالتشهير؟
لقد اعتادت الأوساط الأدبية العربية أن تطرح سؤال الشعر
في سياق الحرب المندلعة استجابة للراسب الثقافي فينا
الذي يربط صيحة الرحب بحماسة الشعر،
باعتبار الشاعر معلقاً على الأحداث،حاضّا على الجهاد،
او مراسلا جربيا .
في كل معركة يقولون:أين القصيدة؟
لقد اختلط مفهوم الشعر السياسي بمفهوم الحدث،معزولا عن السياق التاريخي ..
وفي هذه اللحظة المحددة،حيث تحرث الطائرات أجسادنا،
يطالب المثقفون المتحلقون حول جسد غائب بقصيدة
تعادل قوة الغارة أو تقلب موازين القوى على الأقل .
لإذا لم تولد القصيدة"الآن فمتى تولد؟
وإذا وُلِدت فيما بعد فما هي قيمتها الآن .

سؤال بسيط ومعقّد يحتاج الى جواب مركب
كأن يتاح لنا القول إن القصيدة تولد الآن :
تولد في مكان ما، في لغة ما،في جسد ما
ولكنها لا تصل الى الحنجرةوالورق .
سؤال بريئ يحتاج الى جواب بريئ لولا
أنه مليئ في هذه الجلسة بالرغبة في اغتيال الشاعر
الذي جرؤ على الإعلان بأنه يكتب صمته .
ومن المثير للمرارة أن تنتزع من زمن الغارات هذا الوقت للثرثرة
وللدفاع عن دور الشاعر الذي يستمد خاصيته من
تاريخ كتابة الشعر في علاقته بتطور الواقع،
أمام لحظة يتوقف فيها كل شيئ عن الكلام،
لحظة تصوغ فيها الملحمة الشعبية تاريخها وإبداعها الجماعي .
بيروت هي الكتابة الإبداعية المثيرة .
شعراؤها الحقيقيون ومنشدوها منهم مقاتلوها وناسها
الذين لا يحتاجون الى ترفيه وتشجيع على عودمقطوع الأوتار .
هم التأسيس الحقيقي لكتابة ستبحث طويلا وطويلا عن المعادل اللغوي
لبطولتهم وحياتهم المدهشة .
فكيف تستطيع الكتابة الجديدة،المحتاجة الى كسل أن تتبلور وتتشكل
في اوج معركة لها هذا الايقاع الصاروخي؟
وكيف يستطي عالشعر التقليدي وكل شعر تقليدي في هذه اللحظة
أن يصف هذا الشعر الجديد المختمر في بطن الزلزال؟
صبراًأيها المثقفون!!فسؤال الحياة والموت المهيمن الآن،
سؤال الإرادة التي تدفع بأسلحتها كلها في هذه الساحة،

سؤال الوجود الذي يصوغ شكله المادي والألوهي،
أهم من السؤال الأخلاقي عن دور الشعر والشاعر .
ومن اللائق أن تحترم الرهبة التي تنشرها هذه الساعات،
ساعات انتقال الوجود الانساني من ضفة الى أخرى ومن طور الى طور .
ومن اللائق أن يعرف الشعر القديم كيف يصمت،
في خشوع أمام حضرة هذا المولود الجديد .
وإذا كان من الضروري أن يتحول المثقفين أو بعضهم الى قنّاصة ،
فليحاولوا قنص مفاهيمهم القديمة وأسئلتهم القديمة وأخلاقهم القديمة
نحن الآن لا نصف بقدر ما نوصف ،نحن نولد تماماً أو نموت تماما ..

ولكن صديقنا الكبير الباكستاني فايز أحمد فايز كان مشغولاً بسؤال آخر :
أين الرسامون؟
قلت:أيٌّ رسامون يا فايز؟
قال:رسّامو بيروت
قلت:ماذا تريد منهم؟
قال:أن يرسموا هذه الحرب على جدران المدينة
قلت:ماذا دهالك يا فايز،ألا ترى سقوط الجدران؟

لماذا أرى الطاووس العجوز يدبُ على عصا من عاج مدججاً بمسدسين
مترعاً بالزهور،ثملاً بالهجاء،مفتوناً ببصاق مُتّوج؟
لماذا أرى الطاووس العجوز سارق الريش الملون،
يرشني بابتسامة حاقنة،ويغمد خنجرا في نخاعي؟؟
لماذا أرى الطاووس العجوز،يريم عليّ رائحة العرق والعرق
ويحاول أن يُقبِّل حذائي،ليدس لي قبرا تحت الحذاء؟
لماذا أرى الطاووس العجوز،يشرئِبُّ على المعقد والجدار،
ليطلَّ على قلبي ويسرق حزن الليمون،ويهرّبه الى قبطان
سفينة لاتصل،ظنها سفينة نوح ولم تصل؟
لماذا أرى الطاووس العجوز،مزداناً بنعل حصان قتيل ظنِّها وسام شرف؟
لماذا ارى الطاوووس مدججاِ بمسدسين :
واحدِ لقتلي وواحد لقفاه الجَشِعِ؟
لماذا ارى الطاووس العجوز؟
لماذا ارى الطاووس؟
لماذا أرى؟
لماذا؟

إحترقَ المكتب،قذيفة بحرية جعلته مخزناً للفحم
إحترق المكتب قبل وصولنا بساعات.أين نجد
مكاناًآخر لنتابع الثرثرة،
مهمتنا الخالدة في الحرب وفي الهدنة هي الثرثرة
أين نتابعها:نخرج،أم لا نخرج؟
فقد حسب المثقفون المنصهرون في ورشة الصمود الرائعة
انصهاراً مدهشاً أن هذا السؤال هو سؤالهم.
وحسبوا أن لهم حقّ الفيتو على القرار السياسي.
وكان بعضهم يعتقد أن نشرة"المعركة"هي التي ستحدد مصير المعركة.
وقرروا أن هذا المنبر الشجاع هو الذي سيشهد للتاريخ أن المثقفين
هم الذين يقودون انعطاف التاريخ.ماأجملهم!ما أجملهم!
الساعة الحادية عشرة وعشرون ألف قذيفة وثلاثون ثانية،
خرجنا من المكتب المُحترق الى فضاء مشتعل.
السماء تعانق الأرض عناقاً دخانياً.
تتدلى مُثقَلة بالرصاص المصهور،
برمادي داكن لا يفتح انغلاقه العدمي سوى لون برتقالي
تَبوُله الطائرات الفضية المائلة الى البياض الوهج.
طائرات خفيفة رشيقة تثب على هواء آمن كأن فيه أخاديد.
....
قال"ز"هيا بنا.قلت:الى أين؟قال:نبحث عن أي شيئ
عن غداء مثلاً،ما الحالة؟زفت.
شروط الخروج مذلة،ونحن نناور،ونحاول أن نشتري الوقت بأي ثمن؟
بأي ثمن..بمدافع مضادة للطائرات نفدت ذخيرتها،

ببطولة شباب حيّروا العلَم العسكري وحيروا الجنون.إلى متى؟
الى أن يحدث شيئ ما لن يحدث.
لم يحدث تغيير.مازلنا وحدنا.هل سيدخلون بيروت؟
لن يدخلوا بيروت،سيتكبدون خسائر لا يتحملون نتائجها.
ولكنهم يحاولون قضم أطراف المدينة،
حاولوا عند المتحف وفشلوا.
معنويات الشباب عالية،عالية جداً.
إنهم أشباه شياطين، يائسون من النجدة
يائسون من تحرُّك العالم العربي
يائسون من التوازن الاستراتيجي،
ولذلك كله يُقاتلون بجنون.
هل يبلغهم حديث الخروج؟
نعم يبلغهم ولا يصدقون.يقولون:تلك مناورة،ويقاتِلون
،ويعرفون أن هذا الصمت الذي يتوّج العالم يعطيهم منصّة الكلام.
دمهم وحدهم هو الذي يتكلم في هذا الزمن.
وماذا ستكتب في المعركة أمام حديث المفاوضات والخروج؟
ندعو الى القتال والصمود،
ندعوا الى القتال والصمود:
بيروت من الخارج:
محاصرةبالدبابات الاسرائيلية وبالشلل العربي الرسمي
بيروت غارقة في الظلام والابتزاز.بيروت تعطش.
ولكن بيروت الداخل،
بيروت من الداخل تُعِدُّ حقيقتها الأخرى،
تمتلك ارادتها
وترفع بنادقها
لتحافظ على إشراقة معانيها:عاصمة الأمل العربي.
بشعار إنقاذ بيروت الجهنمي السلس القاتل كالسم الناعم،
يُراد لهذا الأمل
أن ينتحر في مسادة عربية منقولة عن الذاهبين الى انتحارهم في أوج انتصارهم.
واللفظ الوحيد الذي يضعه مبتكرو لفظة"إنقاذ"هو:
الاستسلام،تاريخ من المعاني المُسقيّة بالدم
استسلام كامل الغضب استسلام كل السلاح.استسلام بلا تكاليف.
ولكن هل يعرف خبراء صناعة الإبتزاز ما معنى هذا اليأس ؟
ما نتاج هذا اليأس؟
لا نقول إبتزازامضاداً،
ولا نُهدّد بسقوط الهيكل علينا وعلى أعدائنا وعلى حلفائنا.
ولكننا نَشهر:
حريتنا الوحيدة
وشرطنا الوحيدعلى مائدة المفاوضات:أن تُقاتل.
....

بيروت ليست رهينة،ونحن خلف متاريسنا لانُرهن حياتنا لغير المستقبل،
ولتَجدُّد دورة الأيام كلها.
إذ لا خيار لنا إلا الإحتفاظ بشرط حياتنا الحاضر:السلاح.
السلاح الذي يعني تجريدنا منه تجريدنا من أداة الوجود،
ومن حماية شعلة أوقدناها بغابة من أشجار دمائنا،
ومن الاستمرار في إيقاظ القارة العربية النائمة تحت قمع الأنظمة.
إن صمودنا في قلعة بيروت غيرِ القابلة للتدمير هو الأداة الوحيدة
لتحريك العملاق العربي المتمدِّدِ ما بين شاطئي محيطين.
وهو الأفق الوحيد المطلُّ من:
فوهة بندقية ومن ثقب جزمة مقاتل ومن جرح يضيئ هذا العصر الأسود.
هكذا..هكذا نفك الحصار عن بيروت وعن غضب الملايين..
وهكذا تكون صورة بيروت من الداخل نقيض صورة بيروت من الخارج...
وهكذا كنّا نكتب،فماذا نكتب الآن؟
قال"ز"بلا تردد:الكلام إياه.
وماهو رأي الناس،أهل بيروت؟
قال:مع الصمود،
قلت:مع الصمود حتى الخروج...هل تستطيع أن تتجاهل ذلك؟
قال:لا نستطيع ان نتجاهل ذلك.ولكن ما العمل؟ما العمل؟

صوت يشذ عن المألوف،لا لأنه أقوى،بل لأنه مختلف وبعيد.
صوت يسرِق المكان ويهرول.
صوت يقصُّ الفضاء ويُحدِث تجويفا في الضوء.
هيّا بنا..لم نعبر طريق الروشة منذ أيام.
شارع عريض مهجور يتوسّع في غياب الخطى،
كأنه ملكية خاصة للبحر.
بنايات تدخن.نار تهبط من أعلى إلى أسفل
حريق مقلوب.نوافذ تشيخ وتتساقط على مهل.
وتصل إلينا استغاثات الطوابق العليا واضحة جارحة.
ناس تحاصرهم النار والإنهيارات التدريجية الخارجة من هول الصدمة الاولى.
رجال الاسعاف المدني كانوا هناك،
يحاولون إنقاذاللحم البشري المعجون بالحديد والاسمنت والزجاج
ولاأستطيع ان أشيح بوجهي عن مشهد المكان المجروح،
للدم على الأرض وعلى الجدران جاذبيّة الوحشية.
لا استطيع ان أنصرف ولاأستطيع أن أخمد إحساس العجز.
الزحام شديد.يدعونا رجال الدفاع المدني الى الإنصراف لأننا نعرقل
مهمتهم.
ولأن الطائرالت ستعود لقصف هذا الحشد الشهيّ
بلّل وجهي ماء ساخن يبعثه إحتقان الغيظ،
شدّني صاحبي من ذراعي:هيا بنا،هيا بنا.
أغاروا من جديد.من جديد أغاروا.ماهذا اليوم؟

هل هوأطول يوم في التاريخ؟
نظرات الى البناية المقابلة،
نظرت الى مكتبي نظرة الوداع الأخير.
....
موجة من بحر كنتُ أتابعها من هذه الشرفة
وهي تنكسر على صخرة الروشة الشهيرة بانتحار العاشق..
موجة من بحر تحملُ بعض الرسائل الأخيرة،
وتعود الى الشمال الغربي الأزرق،والجنوب الغربي اللازوردي،
ترجع الى شواطئهاوقد طرّزت انكساراتها بالقطن الأبيض..
موجة من بحر..أعرفها ألاحقها بشجن وأراها وهي تتعب قبل بلوغ حيفا
أو الأندلس تتعب فترتاح على شواطئ جزيرة قبرص.
موجة من بحر لن تكون أنا وأنا لن أكون موجة من بحر...
....
كم أحببت هذا المكان المُهدّد بالتلاشي منذ البداية،
ماذا نُهديك؟نباتاًووردودا.زهوراً ونباتات.
حولْتُه الى مايشبه العش.
أردت له أن يكون نصّاً من نصوص المجلة.
حروف بُنيّة على ورق أصفر ويطلُّ على بحر.
أردت له أن يكون مزهرية ثابتة على صهوة جواد جامح.
أردت له شبهاً بالقصيدة.
ولكن لا نكاد نُعلِّق لوحة حتى تنفجر سيارة مفخخة تحت،
وتتطيح بكل ترتيب.
وما كدتُ أسند رأسي على مرفق يدي اليسرى،في إنتظار
فنجان القهوة حتى وجدت نفسي خارج المكتب.
لقد رفعني دوي الانفجار،كما أنا بقلم الحبر والسيجارة
ووضعني سالما أمام المصعد.
وجدت وردة على قميصي.وبعد دقيقة
حاولت العودة الى المكتب الذي إختفى بابه وتحوّل
الى ساحة من زجاج مكسور وورق متطاير
فتصدّى لي الانفجار الثاني ليبقيني متجمدا قرب المصعد.
ردّ الحارس على الانفجار بطلقات من مسدسه.ماذا تفعل؟قلت.
قال:أُطلق النار.
قلت:علامَ تطلق الناروفي أي إتجاه؟.
لعلّ أحداً لم يسأله هذا السؤال من قبل،
لذلك استهجنه،فهكذا يحدث دائماً.
ردُّ الفعل الفوري والتلقائي وربما الغريزي على أي حدث أو
إحساس عنيف أو خبر أو إصابة كروية هو:إطلاق النار.
مجزرة جديدة على الروشة:عشرون قتيلاً آخر من هذه الحُمّى الجديدة
حمّى السيارات المخخة التي أتقن الموساد صناعها مع عملائه المحليين.
لقد مهدت هذه السيارة لعملية الغزو
مهدت الأرض النفسية لتحويل هذا الحصار الى حادث طبيعي

أحصنة طروادة معاصرة تصهل في الوعي:لاأمن ولاأمان في بيروت الغربية.
وكل سيارة واقفة على رصيف هي وعد بالموت...فليدخل البرابرة!!

موجة من بحر في يدي.تتسرب وتفلت
تناور حول صخرة صدري ثم تقترب وتستسلم ،تستعين،
لئلا تعود الى طبيعتها،يشعر الصدر حرٌ ورطوبة،
موجة كالقطة تقضم تفّاحة.ثم تقبّلني بطيش العابث:
يحق لي أن أحبك.يحق لك ان تحبني.ليس الحب حقاً،يا قطة
وأنا الآن في تمام الأربعين..
تنزوي في ركن:وأنا نصف قمر أنثوي يتبع ذكراً.حَرٌ ورطوبة.
ولكن الجسد الصغير مُكيّف"دافئ في الشتاء.طريٌ في الصيف
جسد طازج كشاطئ بحر جديد لم تلمس الحيوانات الصغيرة طحلبه بعد،
ينزلق ويبتعد.يحترق ويقترب.وتفصلني عنه رائحة الحليب.
لما لا نُعلّق آب على كرسي ؟لما لا نسبح في بياض النوم؟
ونُغطّي عينين لامعتين ليلاً.لأنك صغيرة.
تزأر:لست صغيرة.أنا نصف قمر أنثوي يتبع ذكراً!!
يتبع رائحة الهال.
ألا تحق لي السباحة؟ولكن،هذا البياض ليس بحراً،
تغضب وتقضم تفاحة وأظافر يدها.
أجمع الشفتين بإصبعي لتكبرا قليلاً...لتصيرا قُبلة
هاأنت تحبني..إعترف أنك تحبني.قل لي إنك تحبني.
فلماذا لاتشرب ملحي؟لأن العطش يكسر أناقة روحي.تغضب تعود الى الركن.
تقرفص في الركن:لاأريد الشِعر..لاأحبه
أريد الجسد..أريد قطعة من الجسد..جبان!!
جبان من أجلِك لا من أجلي.ماشأنك أنت بما هو لي.
أنا حرة ما أملك.تقف.تقترب.
يُخشوشن مواؤها:أعطني شيئا ألعب به..
أعطني لعبة..أية لعبة...
قطا صغيراً متوتِراً مشدوداً أمرّر عليه يدي
برفق الى أن يسيل لعابه على صدري...
كانت الموجة توشك أن تغرق لولا انفجاؤ عنيف
هزّ صخور البحر،
فطارت الموجة الى الطريق..
وطرت أنا الى السرير.

منذ ساعة،لم أتبادل الكلام مع صاحبي"ز."
يقود سيارته بلا هدف:أين أنت؟يسأل كلانا الآخر.
قلت:أنا أعرف أين كنت.قل الحقيقة
أما كنت تفعل أمراً مشيناً مع زوجة الطيار؟
اندهشَ:كيف عرفت؟قلت:لأنني عائداً من أمر مشابه

لهذا عرفت الى أين يأخذنا الموت..
قال:آن لنا أن نأكل.قلت:السردين مرة أخرى؟
قال:أي شيئ،لم يكن هذا ال"أي شيئ"أي شيئ.
فجأة أوقف سيارته وصاح:خروف مذبوح.
كنا في أول شارع الكومودور القادم من الروشة.
عرفنا البائع.لم يكن جزاراًّ.كان صانع جنازات.
يلتصق بأي قائد في أية جنازة ليظهَر في المشهد والصورة.
قلت:كم في ظاهرتنا من مفارقات.
ومن حسن حظّي أني لست كاتبا مسرحيا لئلا أكتب عن الجانب الآخر للصورة.
هل تعرف أن عين الكاتب سلبية،كما أن أذن القائد سلبية.
تفتنهما المفارقة الجارحة هنا والنميمة هناك.
لقد شاعت النميمة في حياتنا بشكل مدمر،
وكانت مصاحبة لظاهرة التضخم الذاتي،
لتمدُّد الجسد وانكماش السؤال.
فُتحت مكاتب بأكملها مكيفة الهواء صالونات للنميمة وبثِّ الشائعات.
وازدهرت تجارة الشهداء عند بعض التنظيمات الصغيرة:
مازلنا في حاجة الى عشرين شهيد لنملأ القائمة،
وصراع مسلح على شهيد مجهول التنظيم.
وإعدام مقاتل رفض اطلاق الرصاص على صديق له ينتمي الى تنظيم آخر،
فألقوا بجثته في بئر مهجورة الى أن عثرت عليها العرّافة..و...
....
قاطعَني"ز"سأريك الليلة لعبة الكاميرا والظل..قلت لاأريد
قال:أين سنأكل.نحتاج الى فحم والى بناية شبه آمنة.
دُهِشنا حين رأينا السماء زرقاء صافية لاتعكرها أية طائرة.
منذ دقيقة لم تمر الطائرات..تعبوا؟.
امتلأت الشقة الآمنة في البناية شبه الآمنة في ساقية الجنزير بالأصدقاء الجياع.
خرج الناس من الملاجئ ،لا طائرات..لاطائرات.
قال أحدهم:أين كُتُبُ باختين؟
رد آخر:لقد حملها الناقد وهو ساكن الشقة ورحل.
حاول البعض أن يُشّهِّر.
قال آخر:كفى فنحن بحاجة الى فلسطيني حيّ يهتم بالماركسية وعلم اللغة،
إعتَبروا ذلك فاتحة نميمة وتأهبوا.لكن عاصفة من
الطائرات هبّت علينا لتنقذ الناقد الغائب وترمينا الى الشارع.
وهذا الصوت لا نعرفه من قبل،خفيض،بعيد،عميق،سري،
كأنه صاعد من جوف الأرض،كأنه صوت القيامة المهيب.
شعَرْنا جميعا وقد صرنا خبراء في علم الأصوات القاتلة بأن شيئا
غير عادي في هذه الحرب غير العادية قد حدث.
وبأن سلاحا جديداً قد جُرِّب.

متى ينتهي هذا اليوم الطويل؟
متى ينتهي لنعرف إذا كنّا أحياء أم موتى!!
قال الحامل فخذ الخروف:ماذا نفعل بفخذ الخروف؟
تجاهلنا سؤاله الجشع.لكنه ألحّ بالسؤال السخيف،
ونحن مشغولون بالعثور على ما يلُم أشلاءنا..
ألح حتى قلتُ له:خذ هذه اللحمة الى أقرب ملجأ،
إثقبها وانكحها،وخلصنا منها ومنك!!

لكن ذلك الصوت البعيد حرّك فينا قلق الغابات الاولى السحيقة.
مشيت أنا و"ز"وراء مخاوفنا.
كانت حديقة الصنايع تشهد أحد مظاهر يوم الحشر.
مئات الخائفين يحيطون بتابوت حجري ضخم.
الوجود يحمل ثقل المعادن تحت شمس محجبة بجميع ألوان الرماد.
نندس بين الحشود لنجد مكانا للتطلّع خلف الأكتاف المتزاحمة،
خلف السياج البشري المشدود على خوف وغضب،
فنرى:
بناية اقلعها قاع الأرض
اختطفتها أيدي الوحش الكوني المتربص بالعالم
الذي ينشئه الانسان على أرض لا تطلُّ إلا على شمس وقمر وهاوية..
ليوقعه في حفرة لا قاع لها،
حفرة ندرك أننا نتعلم المشي والقراءة واستعمال اليد،
إلاّ لنصل الى نهاية ننساها،ننساها لنتابع البحث عن مبرر لهذه الملهاة،
نكسر خيط العلاقة بين البداية والنهاية،لنتوهم أننا استثناء الحقيقة الواحدة
ماإسم هذا الشيئ؟
قنبلة فراغية،
تحفر ما تحت الهدف فراغاً هائلاً يُجرّد الهدف من قاعدة يجلس عليها،
فيمتصه الفراغ ويحوله الى مقبة مدفونة ،بلا تعديل ولا تغيير.
وهناك تحت في الحيّز الجديد يواصل الشكل الاحتفاظ بشكله.
ويواصل سكان البناية الاحتفاظ بهيئاتهم السابقة.
وبآخر أشكال حركتهم المختنقة هناك تحت،تحت ماكان تحتهم قبل ثانية
يتحولون الى منحوتات من لحم.
ولكِن لا حياة فيه حتى للوداع:
فمَن كان نائما يظل نائما.
ومَن كان يحمل طبق القهوة يظلّ حاملا لطبق القهوة.
ومن كان يفتح النافذةظلّ يفتح النافذة.
ومِن كان يرضع من ثدي أمه ظل يرضع من ثدي أمه.
ومن كان نائما على زوجته ظل نائما على زوجته...
ولكن الذي كان واقفا على سطح البناية بالمصادفة استطاع أن ينفض الغبار عن ثيابه وأن يهبط الى الشارع من غير حاجة الى استعمال المصعد
فقدسُوّيت البناية بمستوى سطح الأرض.

لذلك بقيت العصافير حيّةً في أقفاصها الجالسة على السطح.
....
لماذا فعلوا ذلك؟القائد كان هنا وغادر منذ قليل..
هل غادر حقا؟لقد نقله سؤالنا الخائف من أب الى إبن..
ولم نجد وقتاً لمحاكمة السؤال:وماذا لو كان هنا،
فهل يبرّر ذلك لهم إبادة مائة انسان؟
كان سؤال آخر يشغلنا:
هل نجا القائد من محاولة اغتياله بالطائرات وبأحدث سلاح"القنبلة الفراغية"؟.
كان أمس يلعب الشطرنج أمام الكاميرا الأمريكية ليدفع بيغن الى مزيد من الجنون،
وليحرمه من لياقة الشتيمة السياسية واستبداله بالشتيمة الانسانية
"هؤلاءالفلسطينيين ليسوا بشراً.إنهم حيوانات تدبُّ على أربع"
كان عليه ان يُجرّدنا من الصفة الانسانية ليبرر قتلنا،
فإن قتل الحيوانات إذا لم تكن كلابا ليس محرم في الشريعة الغربية.
كان بيغن يستعيد تاريخ جنونه وجرائمه،
فقد ظنّ أن جنوده صيادي الحيوانات يقومون بنزهة صيد،
فألقيَت في وجهه مئات التوابت المرفوعة على آلاف صراخ:
الى متى؟ولسنا بشراً لأننا لم نسمح له بدخول عاصمة عربية.
وهو لايستطيع أن يصدق أن البشر هم الذين يحولون دون تحوُّل الخرافة الى محكمة مطلقة لمحاكمة كل القيم وكل البشر في كل زمان وكل مكان،
محكمة أبدية وطلقة،الى طبيعة حيوانية ،
بعدما أغلقت عليه خرافتهُ جميع منافذ سؤال ممكن:مَن الحيوان؟

لقد انقضت على أحلامه وعلى حلم يقظته أشباحُ من أبادهم في دير ياسين
وغيّبهم عن المكان والزمان،
غيّبهم ليشترط حضوره في المكان والزمان بذلك الغياب.
ولكن تلك الأشباح تحاصره في بيروت وقد استعادت
لحمها وعظمها وروحها استعادة بطولية.
عاد الشبح من الضحية الى الظل.
وبين الشبح والبطل حوصر نبي الكذب بهوس
أقعده عن الاستعانة
بفصول من التوراة كانت قادرة على أن تكتب وحدها تاريخ البشر
....
وكان القائد يلعب الشطرنج.
لقد أحسن التلاعب بأعصاب بيغن المُتدلية كأسلاك الكهرباء على مزبلة من الأوزاعي.
كان الرجل المُحاصَر في بيروت يحاصرعلى رقعة الشطرنج مالايُفصَح عنه.
كان يحاصر في قرائتنا الخاصة أكثر من ملك وقف خارج اللعبة ويحاصِر أكثر

من رقعة.
كان يخاطب الكناية
ويؤجل خُطب التأبين المليئة بالدموع الملكية والجمهورية والجماهيرية
المعدة منذ شهر،
منذ طمأن التقدم الاسرائلي خطباءنا الرسميين الى مسافة الغزو المُقترَح
المبارك بصمت جليل.لحماية أمن الجليل من
مدى الشوق المسلح الذي يحميه أبناء الجليل الى أرض الجليل
هل كان هنا منذ قليل؟ هل خرج من هنا؟
رأيت أحد مرافقيه الذين لايكذبون عليّ أبدا
فازددت قلقا،همس في أذني إنه ليس هنا لقد غادر المكان
وأضاف وعليك أيضا أن تغادر فورا،
فهذا الزحام يُغري صيّادي الجو بغارة أخرى
كان هذا الشاب هو الذي عثر عليّ قبل أيام في أحد المكاتب وهمس في
أذني:تعال معي!
فهمت الاشارة ولم أسال الى أين أنا ذاهب
توقعت كل شيئ إلا أن أجد نفسي وجها لوجه أمام الرجل ذي الملامح
الألمانية جالساً مع القائد.
....
قال لي:هل تتذكرني؟..أنا أوري.غضِبتُ.
ولكنني قلت مازحاً:ماذا...هل دخلتم بيروت،أم وقعتُ في الأسر؟
قال:لا هذا ولا ذاك،جئت من الأشرفية لأُجري مقابلة صحفية مع السيد
عرفات.
غضبت أكثر ولم أُعلِّق.
بيروِت مليئة بمندوبي كل الصحف العالمية.
أمِنَ الضروري أن يجري هذا الحوار مع هذا الصحفي في هذا الوقت؟
لكل مقام مقال.وهذا المقام ليس لهذا المقال.
ولكن لعرفات نظرة أخرى الى الإعلان.
فربما أراد أن يوصل رسالة مباشرة؟
ربما أراد أن يُمرِّغ بيغن في مزيد من الجنون.
كان أبو عمار أهدأ من الرسالة التي أراد إبلاغها للرأي العام الاسرائيلي
المضطرب.
حين سأله الصحفي الى أين ستخرج حين يخرج من بيروت؟
أجاب ياسر بلا تردد:سأذهب الى بلادي،
سأذهب الى القدس.
لم أتأثر بهذه اللغة بقدر ما تأثّر بها الاسرائيلي واغرورقت عيناه بدموع
الخجل.
وأضاف أبو عمار:لمَ لا؟لمَ لاأذهب الى بلادي؟
لماذا يحق لك أن تذهب الى بلادي ولايحق لي الى بلادي؟
ساد صمت وانقطع الحوارِ.
ازدادت المصورة ومساعِدَة الصحفي تحديقاً الى وجه العدو الاسطوري.
سألتني إحداهما:أين كوفيته الشهيرة؟قلت لها:في كل مكان.

ولكنه يرتدي القبعة العسكرية لأنه يحارب.
ازدادت التصاقاً به فقلت لها:هل أعجبكي الرجل؟إنه عازب.
قالت:أعجبني كثيراً..
أما أنا فلم تعجبني المقابلة،ولاخِفّة صاحب الشقة الذي زوجّ
بأفراد عائلته في عدسة الكاميرا الاسرائيلية لا لشيئ..إلا
ليُري أهله هناك صورة سعادته هنا!!
قلت لنفسي:من واجبنا أن نعرف لمن نشتاق:
للبلاد أم لصورتنا خارج البلاد أم لصورة شوقنا للبلاد داخل البلاد!!

أين"س"ديك الحي الفصيح؟عاشق المسدسات واللغة واللحم المُعلَن.
لم أره منذ يومين.هل وجد طعاماوماء؟كان هذا هاجسي.
ومنذ تبنّيته كان نادرا ما يتكلم معي حين نكون وحيدين ،
فلعلّه صدّق أني أبوه.
ترك الحي الذي كان يسكنه قبل الحصار وجاء الى هنا
ليقيم مع شاب لبناني سيرياني الأصل.
أين السيرياني وأين الكردي؟تصادقا منذ اليوم الأول للحصار.
أحدهما متوتِّر كعضلة وثانيهما بارد كقمر.
كان"س"يبحث عن"ج"وكان"ج"يبحث عن إختفاء يوحي بأنه شهيد.
وحين ِيلتقيان يشتم أحدهما الآخر،ثم يخرجان الى شوارع الحمراء.
مدججين بكامل السلاح والإمتلاء،
كأنهما يحرسان الهواء من الإختراق ومن ثورة مضادة.
أحببتُ"س"منذ التقيته من سنين،
مُستنفرا ضد مجهول،يخجل من الكلام ولا يتدخل فيه إلا ليتوتر.
حاسم صارم لا يساوم على شيئ أو رأي.
لايقول إلا للورق الموضوع على وسادة مافيه من عالم
عجائبي،فنتازي،مُترَع بالفصاحة.
ولاأعرِف حتى الآن متى يبدأ فيه الروائي السارد ومتى ينتهي الشاعر.
صفعَ الحياة الثقافية البيروتية بانفجار مفاجئ.
ولكنه يدافع عن كتابته بقبضته وشراسته،
لأنه لايؤمن بالحوار بين المثقفين ويعتبره ثرثرة.
يأخذ مسدسه وعضلاته المزهوة ويذهب الى المقهى المناسب ليتربص
بصغار النقاد في الصفحات الثقافية ويؤدبهم على ما كتبوه ضده.
قلت له ذات مرة:
هكذا كان يفعل ماياكوفسكي بنقّاده في شارع غوركي.
قال:هذا هوحد نقد النقد الوحيد.
كان"س"مبتهجا بالحرب،ففيها يتجلّى مكبوت عنفه ويحالف الفوضى.
فيها يُطلق أعنّة جياده ويشهر حوافر نشيد لا غبار حوله سوى الرصاص.
وفيها يعود الى عصور الجبال البعيدة،والى نايات ترقِّص البعيد،
والى الفرسان وقرقعةالخيلاء،وبهاء الفتوة الأولى،
....
وباختصار:فيها يجد ميدان الرياح التي تمتشقه سيفا طازجا مع أعداء مرّوا.

ولِا يفهم..لايفهم...أبدا لماذا يكتّب الكتّاب في الحرب.
مَن يأبه بهم في لحظة القوة؟
يضرب على مسدسه ويتوعّد:سننتصر..سَنُعفِّر أنوفهم في التراب.
لم يكن يعرف إن كان سينتصر حقا أم لا.
فهو وَلد المعارك الخاسرة،وَلَدٌ ضد الحساب.
مايهمه هو التحدي والمبارزة.
كان"س"يقف في منطقة وسطى بين دون كيشوت وسانشو،
يحيل الأعداء الى نماذج في متناول اليد.
يمتلئ حماسة فيتكوّر ويستطيل ويتوتر ويضرب أي شيئ ثم يسلِّط
على نفسه حكمة"ج"المتروي،الباحث عن الفلسفة في الشعر والمعادي
للغنائية.
ووجد"س"(ذات الجمال المنقطع النظير)في غياب الماء واللحم والنساء.
احذر يا"س"فهي من صناعة جدك دون كيشوت،
من سلالة السحالي التي تظهر في القيظ والهجير،
في أخاديد النفس المتشققة من العطش.
وصوتها صوت البنايات اليابس في برية الأطلال.
لكنه قطع شوطا لا تراجُع عنه في عملية الإحالة الذاتية المقطوعة عن
حقيقتها
وتوغّلَ في الملهاة ليحقق ماينقص الفروسية:إمرأة!!
أين"س"؟هل اصطادته الشظايا أم اصطاد دجاجة ليهديها إلى"ذات الجمال
المنقطع النظير"؟

القنبلة الفراغية هيروشيما،مطاردة رجل بالطائرات.
فلول الجيش للنازي في برلين.
احتدام الخلاف الشخصي بين بيغن ونبوخذ نصر.
عناوين تخلط الماضي بالحاضر وتدفع الحاضر الى الهرولة.
غدٌ يباع في أوراق النصيب.
قدر إغريقي يتربّص بأبطال صغارِ.
تاريخ مشاع لا أهل له مفتوح لِمن يشاء أن يرث.
في هذا اليوم في ذكرى قنبلة هيروشيما
يجرّبون القنبلة الفراغية في لحمنا،تنجح التجربة.
أتذكر من هيروشيما المحاولة الأمريكية لدفع هيروشيما الى نسيان
اسمها.
وأعرف هيروشيما زرتها منذ تسع سنين.
وفِي إحدى ساحاتها تكلمت عن ذاكرتها.
من يُذَّكِّر هيروشيما بأن هيروشيما كانت هنا
سألتني المترجمة اليابانية إن كنت قد شاهدت الشريط السينمائي
الشهير.
قلت:وفي وسعي أن أحب امرأة من سدوم لأحب لألعب.
وفي وسعي أن أحب جسدا يقتلني حرّاسه خلف النافذة.
قالت:لاأفهم،قلت:هي خواطر شعرية..ولكن أين هيروشيما؟

قالت:هيروشيما هنا.أنت في هيروشيما.
قلت:لاأراها فكيف غطيتم اسم جسدها بالأزهار؟
ألأن الطيار الأمريكي بكى فيما بعد.
ضغط على زر صغير ولم يرى إلا سحابة.
وحين رأى الصورة فيما بعد بكى.
قالت:تلك هي الحياة.قلت:ولكن
أمرِيكا لم تبكِ ولم تغضب على نفسها.
غضِبَت منن التوازن.
هيروشيما غداً...هيروشيما في الغد.
....
لاشيئ في متحف الجريمة يدل على اسم القاتل:
من هنا جاءت الطائرة،من قاعدة ما في الباسفيك.
تواطؤ أم خنوع؟
أما الضحية فلا تحتاج الى أسماء:هياكل بشرية مجرّدة من ورق الشجر
أغصان عظيمة الشكل،أشال للشكل.
بعض الجدائل الدالة على إمرأة كانت هناك.
كتابات على الجدران تشرح درجات التدرج في القتل:
من الحريق الى الدخان الى السموم الى الإشعاع.
تدريبات أولى على قتل كوني أشمل.تخطيط أولي بالنهاية.
هكذا تبدو الآن"ثروة"قنبلة هيروشيما التدميرية،
سلاحا ذريا بدائيا،
يسمح للخيال العلمي بأن يكتب سيناريو لنهاية العالم:
انفجار هائل انفجار عظيم،
يشبه بداية تكوُّن الكرة الأرضية فوضاها المنظمة:
جبال،أودية،سهول،صحارى،منحدرات،بحار،بحيرات،تجاعيد،صخور،
وما يتبعه من تنوعات جميلة في أرض تمجدها المدائح الشعرية والصلوات الدينية.
بعد الانفجار العظيم
يشبٌ حريقا هائل يلتهم كل ما يستطيع التهامه من طعام النار:
البشر والشجر والحجر والمواد القابلة للاحتراق،
يُنتج دخانا كثيفا يحجب الشمس الى أيام
فتبكي السماء مطرا أسود يسمِّم كل شيئ حي يسمونه"المطر النووي"
تبرد الأرض وتعود الى عصرها الجليدي الأول،
وفي مرحلة الانتقال السريع من هذا العصر الى العصر الجليدي
لن يبقى حيا إلا الجرذان وبعض أنواع الحشرات،
يصحو الجرذ ليجد نفسه انسانا يحكم الأرض،كافكا مقلوب.
وأنا أسأل:أيهما أقسى:أن يصحو الانسان ليجد نفسه حشرة ضخمة
أم أن تصحو الحشرة فتجد نفسها إنسانا يلعب بالقنبلة النووية وقد حسبها كرة قدم!!!

سماء بيروت قُبّة كبيرة من صفيح داكن.
الظهيرة المطبقة تنشر رخاوتها في العظام.
الأفق لوح من الرمادي الواضح لا يلونه سوى عبث الطائرات.
سماء من هيروشيما.في وسعي أن أتناول طبشورة وأكتب
على اللوح ماأشاء من أسماء وتعليقات.اجتذبتني الخاطرة:
ماذا سأكتب لو صعدت الى سطح بناية عالية:لن يمروا؟
كتبوها.طاشت الحروف كلها من ذاكرتي ومن اصابعي.
نسيت الأبجدية.لم أتذكرغير حروف خمسة:
ب ي ر و ت
....
جئت الى بيروت منذ أربع وثلاثين سنة.
كنت في السادسة من عمري.
وضعوا رأسي على قُبّعة وتركوني في ساحة البرج.
كان في الساحة ترام.ركبت فيه.سار على خطَيّ حديد متوازيين.
صعد الى ما لا إعرف.صعد على خطي الحديد وسار.سار الترام.
لم أعرف أيهما يُسيّر اللعبة ذات الجلبة:
خط الحديد الممدود على الأرض،أم العجلات على خط الحديد.
نظرات من نافذة الترام.
رأيت بنايات كثيرة،فيها نوافذ كثيرة تطل منها عيون كثيرة
ورايت أشجارا كثيرة.
الترام يسير والبنايات تسير والأشجار تسير.
كل شيئ حول الترام يسير عندما يسير الترام.
عاد الترام الى المكان الذي وضعوا فيه قبّعة على رأسي،
تلقفني جدّي بلهفة.وضعني في سيارة وذهبنا الى الدامور.
الدامور أصغر من بيروت وأجمل منها،لأن فيها الدامور بحرا أكبر،
واكن ليس فيها ترام،خذوني الى الترام،فأخذوني الى الترام.
ولاأذكر من الدامور غير البحروبساتين الموز،
ما أكبر أوراق الموز ماأكبرها!!
والزهور المتسلقة على جدران البيوت،
وحين جئت الى بيروت مرة أخرى قبل عشر سنين،
كان أول شيئ فعلته هو أنني أوقفت سيارة تاكسي وقلت للسائق:
خذني الى الدامور.كنت قادما من القاهرة،
وكنت أفتّش عن خُطى صغيرة لولد مشى خطى لا تليق بعمره.
خطى أكبر منه ومن قدميه.عمّ كنت أبحث؟
عن الخطى ام عن الولد؟ أم عن أهل البرية الوعرة ليصلوا الى ما لم يجدوا؟
كان البحر في مكانه.كان يدفع الدامور شرقا لتصير أكبر.
وصرتُ أنا أكبر.صوت شاعر يبحث عن ولد كان فيبه،تركه في مكان ونسيه.
الشاعر يكبر ولايسمح للولد المنسيّ أن يكبر.هنا قطفتُ الصورالاولى.
وهنا تعلّمت الدروس الاولى.
وهنا قبلّتني صاحبة البستان،وهنا سرقت الورد الاول.

وهنا كان جدي ينتظر العودة من الجرائد ولايعود.
جئنا من قرى الجليل ،نمنا ليلة قرب بركة رميش الذرة،
قرب الأبقار والخنازير.وفي الصباح التالي سرنا شمالا.
قطفت التوت من صور.ثم استقر بنا الرحيل في جزّين.
لم أرَ الثلج من قبل.كانت جزين مزرعة للثلج،
وكان فيها شلّال،لم أرَ الشلال من قبل.
ولم اعرف من قبل أن التفاح يتدّلى من أغصان الشجر.
كنت أحسبه ينبت في الصناديق،
نحمل السلال القصبية الصغيرة ونختار التفاح عن الشجر،
أريد هذه الحَبّة،وأريد تلك الحَبّة،
آخذها وأغسلها في جداول المياه الهابطة من سفح الجبل
الى مجاريها الصغيرة من البيوت الصغيرة المتوجة بالقرميد.
وفي الشتاء لم نتحمل برودة الرياح اللاذعة فرحلنا الى الدامور.
غروب الشمس يسرق الوقت من الوقت.
والبحر يتدلى كأجساد العاشقات ليرفع صرخته في الليل ولليل.
ذهب الولد الى أهله هناك في البعيد في بعيد لم يجده هناك في البعيد
مات جدي وهو يُحدِق الى تراب محبوس خلف سياج،
الى تراب غيّروا جلده من قمح وسمسم وذرة وبطيخ الى تفاح خشن.
مات جدي وهو يعُدّ الغياب والمواسم ودقات القلب على أصابع يدين يابستين.
سقط كالثمر المحروم من غصن يُسنِد عليه عمره.
لقد خرّبوا قلبه تعب من الانتظارهنا في الدامور.
ودعّ أصدقاءه وأبناءه واخذني وعاد ليجد مالم يجد هناك،
وهنا كثر الغرباء واتسعت مخيماتهم مرت حرب ..حربان..ثلاث...وازداد الوطن ابتعادا عنهم.
وازداد الأطفال ابتعادا عن حليب أمهاتهم بعدما شربوا حليب وكالة الغوث
فاشتروا بنادق ليقربوا البلاد الهاربة من أيديدهم.
أعادوا هويتهم وأعادوا تركيب الوطن من جديد وساروا على الطريق،
فاعترضهم حرّاس الحروب الأهلية،
فدافعوا عن خطاهم فخرج الطريق عن الطريق،
وسكن اليتيم جلد اليتيم،
ودخل المخّيم في المخيم.

لا أستطيع أن أحفر اسمي على حجر في الدامور،
حتى لو كان متراسا لقنّاصة أرادوا روحي.
لا أستطيعول أستطيع،فلتبعِدوا هذا المصوّر عن وجه الحجر.
أبعِدوا هذا الخطاب عن بحرٍ ما زال جالسا مكانه.
ولاأستطيع أن أرفع شهيد على كتف جثّة معلقة على أغصان الموز..
لاأستطيع."الحرب هي الحرب"ليست لغتي.
لن أقرأشعراً في الدامور.وما العمل تجاه مايقطع المخيم عن المخيم؟
ليس سؤالي..ليس سؤالي أبداً أن أحفر اسمي على حجر في الدامور،

لأني أبحث عن ولد ولا أبحث عن بلد..
....
وفي أنقاض الدامور
وجد أبناء الشهداء وأبناء الناجون من"تل الزعتر"ملجأ آخر في سلسلة الملاجئ المتنقلة.
حملوا المتاعب والخيبة
ومانسيَت أن تقطعه السكاكين من أجسادهم ،
وجاؤوا الى الدامور.
جاؤوا يبحثون للنوم عن متر مفتوح للريح والأناشيد.
ولكن ما نسيَت ان تفعله الخناجير البدائية
فعلته الطائرات الحديثة التي لاتتوقف عن قصف البقاء البشري.
الى أين؟الى أين؟
من مذبحة الى مجزرة يُساق شعبي ويتناسل في محطات الأنقاض،
ويرفع شارة النصر ويرفع الأعراس.
أللقذيقة أحفاد؟..نحن
أللشظية أجداد؟...نحن
ومنذ عشر سنين أقيم في بيروت في مؤقت من اسمنت.
أحاول أن أفهم بيروت فأزداد جهلاً بنفسي،
أهي مدينة أم قناع؟منفى أم نشيد؟
سرعان ماتنتهي وسرعان ما تبدأ والعكس أيضا صحيح.
في المدن الأخرى تستندالذاكرة الى ورقة تجلس في ساعات انتظار.
في فراغ أبيض فتهبط عليك فكرة زائرة.
تصطادها لئلا تهرب منك.
وحين تمضي الأيام وتراهاتتعرف الى مصدرها،
فتشكر المدينة التي وهبتك تلك الهدية،
أمابيروت فإنك تسيل وتتبعثر.
الإناء الوحيد هو الماء.
تأخذ الذاكرة شكل فوضى المدينة وتدخل في كلام ينسيك الكلام السابق.
ونادرا ما تلاحظ أن بيروت جميلة..
ونادراً ما تحتاج الى التمييز بين المعنى والمبنى..
ولا تكون جديدة بقدر ما تكون قديمة..
وحين يسألوك:هل تحبها؟يفاجئك السؤال فتتساءل:لماذا لم أنتبه؟أأحبها؟
ثم تبحث عن عاطفة محددة لها،فتُصاب بدوار او خَدَر.
ونادرا ماتحتاج التأكد من أنك في بيروت،لأنك موجود فيها بلادليل،
وأنت موجود فيها بلا برهان،
وتذكر أن مثل هذا السؤال في القاهرة ينتهي بالخروج الى الشرفة للتأكد من وجود النيل.
إذا رأيت النيل فهذا يعني أنك في القاهرة.
أمّا هنا فإن صوت الرصاص هو الذي يدلُّ على بيروت.
صوت الرصاص أو صراخ الشعارات على الجدران.

هل هي مدينة،أم مخيم شوارع عربية وُضِعت بلا ترتيب،
أم هي شيئ آخر:حالة،فكرة،إحالة،زهرة،خارجة من نص،فتاة تُربك المخيلة؟
ألهذا السبب لا يستطيع أحد أن يؤلف أغنية بيروت؟
كم تبدو سهلة!!
وكم تبدو مستعصية على تجانس المفردات المتجانسة والايقاع والقافية
بيروت،ياقوت،تابوت.
أم لأنها تقدم نفسها لعابر السبيل الذي وحده،يشعر بأنها بهجته الخاصة.
ووحدهم أصحاب وأصحاب الأسماء المنسية هم المحرومون من دهش يدهش الآخرين.
أنا لاأعرف بيروت ولاأعرف إن كنت أحبها ام لا أحبها..
للسياسي المهاجر كرسي لا يتغير ولايتبّدّل..وبتعبير
أدق:للكرسي سياسي مُهاجر لايغيّره...
وللتاجر المهاجر فرصةُ التأكد من أن ريح الخمسينات
التي وعدت فقراء العرب بشيئ ما،لن تمرّ من هنا..
وللكاتب الذي ضاقت به بلاده أو ضاقت به الحرية في أن يعتقد أنه حر،
دون أن يعلم في أي جبهة يحارب.
وللشاعر السابق إمكانية الحصول على مسدس وحارس ومال.
فيتحول الى زعيم عصابة يغتال ناقداً ويرشو آخر...
وللفتاة المحافظة القدرةُ على إخفاء الحجاب في حقيبة
يدهاعلى سُلّمِ الطائرة والاختفاء مع عشيقها في فندق..
وللمهرب أن يهرّب
وللفقير أن يزداد فقراً.
ولكلِّ قادم من بيروت بيروته الخاصة به،
ولانعرف ولاأحديعرف إلى حد يُشكِّل مجموع هذه المدن مدينة بيروت
التي لايبكي عليها الباكون،ولكنهم على ذكرياتهم أو مصالحهم الخاصة يبكون..
ربما في هذه الطريقة الطريقة التي بحث عنها العربي عما ينقصه في بلاده،
تحوّل لقاء الأضداد الى هذه التسمية الغامضة،والى رئة يتنفس منها نفر من البشر،
بينهم القاتل والقتيل،الأمر الذي جعل بيروت غناء الفوارق والفروق،
ودون أن يسأل الكثيرون من العشّاق هل هم في بيروت أم في أحلامهم.
أما في بيروت فلا أحد يعرفها،ولاأحديبحث عنها،
ولعلها ليست هنا أبداً وفي الحرب فقط عرف الجميع أنهم لا يعرفونها.
وعرفت بيروت أنها ليست مدينة واحدة ولا وطنا واحدا وأنها ليست بلاد متجاورة،
وأن ما بين هذه المدينة والنافذة المقابلة من التناقض ما يفوق التناقض بين واشنطن وبيننا
وأن التناحر بين هذا الشارع والشارع الموازي يفوق التناحربين الصهيوني والقومي العربي.

وفي الحرب فقط أدرك المقاتلون أن سلام بيروت مع بيروت مستحيل.
وفي الهدنة فقط ادرك المقاتلون والمراقبون أن هذه الحرب لا نهاية لها وأن النصر فيها
خارج توازن الهزيمة مستحيل.
ولعلّ الجميع أدركوا أن لابيروت في بيروت.
فهذه السيدة الجالسة على حجر صورة لزهر عبّاد الشمس تتبع ما ليس لها
وتجرُّ عشاقها وأعداءها على السواء الى دورة خداع البصر.
فتكون لهم أو عليهم ولا تكون لهم أو عليهم.
إنها شكل لشكل لم يتشّكل.لأن الحرب فيها أعني حولها سجال.
ولا الثابت فيها متغيّر ولأن الدائم فيهاهو المؤقت.
أو:خذ موجة أجلِسها على صخر الروشة فِّك عناصرها
فلن تجد غير يديك غارقتين في لعبة سحر لاتنتهي ولا تبدأ.
سؤال:هل هي مرآة،
جواب:بقدر ماتصلح الموجة لأن تكون حجراً..
سؤال:هل هي طريق؟
جواب:بقدر ماتكون القصيدة شارعاً..
سؤال:هل تكذب؟
جواب:عندما يصدِّق المرأ ما لا يُصدَّق..
وفي الحرب الطويلة كانت واضحة،
كان يبدو لي أن هذه الوجوه التي تدخل المرآة سترى ما لم ترى خارج الدم والحريق،وتغيِّر مصادر انعكاسها.
وكان يبدو لي أن بيروت تستطيع أن تكون جزيرة في الماء أو الصخر..
وكان يبدو لي أن القبائل المتحلقة حول رقصة النار ستنتقل من السلالة الى الوطن.
وأن الوطن سيدخل في الأمة.
وأن الأمة ستكتشف بديهة شرط حياتها،
كأن تعرف من هو العدو ,اين هو.
وكان يبدو لي أن هؤلاء الشهداء،على ألأقل علامة.
وأن بداية التغيير قد بدأت وأن الصدفة الاقليمية قد انكسرت وأطلّت منها لؤلؤة الجوهر.
وكان يبدو لي ..وكان يبدو لي......
ولكن العصفور الذي انبثق من دم بيروت ووعودها صار يتساءل:هل أنا في فضاء أم في قفص؟
أمرُّ الآن في بيروت في ربيع 1980،فأرى قفصاً مصنوعا من ريش جناَحيّ،غنائي يثيرالسخرية،
وصرت الغريب الوحيد.
هل أخطأت؟كثيرا،أخرج من هنا
هل انتهت الحرب؟عاد جميع الغزاة وولِد الوطن من جديد.
الى أين أعود؟الى بلادك/الى بلادي؟في الأمّة..
وفلسطين؟ابتلَعها السلام

وصرتُ الغريب الوحيد،ماذاأفعل في باريس؟
ماذا تفعل في بيروت.الى متى أبقى في لندن؟الى متى تبقى في بيروت.
قل لي:ماذا جرى لبيروت؟قال:صارت قوية
قلت:هل انتصرت فيها العروبة أم..؟
قال:لاهذا ولاتلك،انتصرت فيها رياح المنطقة،
لأنها لاتستطيع أن تكون جزيرة في الماء أو واحة في الصحراء.
عُدْ من حيث أتيت لأن الشارع يرفضك,.
وصرتُ الغريب الوحيد.كم أكتم شكواي:لماذا يكون الوطن اللبناني منافيا لفلسطين؟
لماذا يصير الرغيف المصري منافيا لفلسطين؟
ولماذا يصبح السقف السوري منافياً لفلسطين؟
ولماذا تكون فلسطين منافية لفلسطين.
كم أنا غريب في ربيع1980،الهواء ينذر بشيئ ما،
وطريق المطار ينذر بشيئ ما،والبحر ينذر.وصرت الغريب الوحيد.
..وعلى الجدران،تقضم الأعلام الرسمية مزيداً من صور الشهداء
ومن الكلمات التي تنشئ تماسك الوطن على علامات الطريق الجديدة.
بيروتِ مرّت من هنا،بيروت مرت من هنا.
بحثتُ عن طفلة الجنوب التي أكلت بطاقة هويتها الرسمية،
فوجدتُها تتدرب على النشيدالرسمي،وتنتظر المصفحة التي تحمل إليها العيد..
إنه الوطن..
بيروت مكللة بأدوات الزينة والخطابة والمراسيم التي تمردت من حقه أن يُصدِّق ما صدّق.
يقال إن حرب الوعود انتهت وبدأ بناء السلطة.
ولم تعد المرآة تعكس إلا ماهو أمامها.
وهذا الفضاء قفص...
....
وماذا أيضاً عليك أن تكون أبيض،فهنالك ما هو أغلى من الحرية،ومن الحياة..ماهو؟
"ويقول علماء التاريخ الطبيعي أن السمّور حيوان صغيرذو فراء أبيض بل وشديد البياض.
وإذا أراد الصيّادون صيده يستخدمون هذه الحيلة:
يلاحقون المسالك التي يعتاد المرور بها،ويضعون فيها الطين ثم يأخذون في مطاردته،
وحين يصل السمّور الى المكان الذي وسخّه الطين،يتوقف دفعة واحدة،ويُفضِّل أن
يُصطاد ويُقتَل على أن يمر في الطين ويوسِّخ بياض فرائه،لأنه يُفضِّل البياض على الحرية والحياة"....

أللقذيفة أحفاد؟نحن
أللشظية أجداد؟نحن..

وانقلب الصمت صمتُ المتفرجين الى ملل.
متى ينكسر البطل؟متى ينكسر ليكسرتتابع الخارق الى مألوف.
البطولة أيضاًتدعو الى الضجر عندما يطول المشهد فتخفّ النشوة.
ألم يُدفع موضوع هذه البطولة ذاته الى موقع الضجر
ليكون هو ذاته مصدراً للضجر في سياق حياة تبحث عن حياتها العادية
الخاليةِ من الرسائل والهتاف،
ليشهِر الحاكم أمامها أسباب التعاسة:
فلسطين المسؤولة عن إنقراض القمح في الحقول،
وعن ازدهار العمران المُكلّل بالسجون،وتحويل الزراعة الى صناعة لاتنتج
غير بطون الفئة الجديدة.
محدثة النعمة،المُثقلة بهموم الاستهلاك الفردي الذي يُثقِل الدولة بديون
يحتاج المواطن أن يعيش عمره مرتين ليُسدّدِها؟
لقد جربّت مصر هذه الغبطة.وعدَها سراب السلام بتحريرالرغيف
من ضرائب فلسطين،وبعودة الشهداء الى أهاليهم سالمين،وبوجبة فول
أفضل.
فازدهرت الكماليات،وامتدت سنوات الخطوبة الى أجل غير مسمّى ريثما
يتم العثور
المستحيل على عش زواج،وازداد الجوعى جوعاً.
ووضع الرئيس "السادات"كل من تساءل:أين ثمن السلام؟في السجن
حتى خرج من صفوف حرّاسه فتى يطلق
الرصاص على فرعون وعلى هذاالسلام وعلى هذا السراب.والآخرون؟
الآخرون استخلصوا العبرة واستغنوا عن شبق السادات
وشيّدوا بمنهجية ومثابرة سلام الأمر الواقع المشروط بِ
ربط المعدة العربية بشروط الرضا الأمريكي
وشهروالحرب بالسلاح وبالصحف على موضوع البطولة.
وانتظروا بقليل من الحرج أن يحرق الاسرائيليون نيابة عن الجميع
مسرح هذه البطولة ومنصة هذا الخطاب البديل.البطولة أيضا تدعو
للضجر.كفى.
واختلفوا في طريقة تسويق الضجر:
بعضهم يدعو الى انتظار مرحلة تاريخية تنقلب فيها موازين القوى بعصا
سحرية خارجية،
الى مصلحتنا مما يوفر لنا حقّ الكلام في الحرب او في السلام.
وبعضهم يستعجل النهاية وينصحنا بالرحيل على سفن أمريكية بلا شروط
وبلا مماطلة.
وبعضهم يستعجل النهاية أيضاَ بدعوتنا الى الانتحار الجماعي ليستولي هو
على مسرحه وعلى مسرحنا.كفى،
الى متى يصمدون؟فإمّا أن يموتوا وإمّا أن يخرجوا!!
الى متى يخدشون أمسيات العرب بجثث تقطع المسلسل الأمريكي؟
الى متى يحاربون ونحن في عزّ الإجازةو المونديال وتربية الضفادع؟
فليفتحوا الطريق أمالم شهواتنا وعارنا.لتتوقف هذه الملهاة.
أمّا حكماؤهم المجلَلون بلياقة التعاطف فإنهم يقدمون للضجر مظهراًأبهى:

آن لهم أنْ يعرفوا أنّ لا أمل..لاأمل يُرتجى من العرب.أمة لا تستحق الحياة.أمة على صورة حكّامها.
وهذه معركة يائسة فليدخروا دمهم لتاريخ آخر.
صمت مكلّل بكلِّ مايفرغ التاريخ من أنخاب،أحصنة تزيينية على حقول أَلِفت مواسم الغزو.
وخطاب واحد يشتهي إغتراب الكلمات عمّا وراءها.
خطاب واحد يُعدِّد الصدأ المتراكم على الكلام منذ استوى الخطيب على عرش المنبر،
خطاب واحد يلقيه المنقسمون على أنفسهم المقتتلون على خطاب.
أمِن حق المدينة في هذا الجحيم وفي هذه الفوضى أن تمنح الوقت اسماً مختلفاً؟
أمن حقها أن تخربش فوق اللوحة المكتملة اللون؟
أمن حقها أن تقترب من سياج الصراع المُحكم التسييج؟
وتضع قواعد أخرى لجيران العدوِ ..هذه هي أسماؤهم وألقابهم:
جيران العدو.إذ"الموت لبيروت"يُعنْوَن:الموت لهذا الشارع الأخير الخارج عن هندسة الطاعة.
ضجروا،ضجروا.لقد طالت المهلة المحددة لسقوط المعنى الأخير،
المُتَدلّي كالثمرة الناضجة على نخلة العرب اليابسة،
المتدلي لمن يرث ليُدفَن لاليعلن جدوى التراكم .
متى يوقفون الجنون؟متى يرحلون؟ومتى يدخلون في تشابه الرسل؟
متى يسقطون مثلنا،مع الاحتفاظ بفارق معافى هو:أننا نسقط على عرش،
من الهزائم المدوية الى العرش،وهم يسقطون على نعش من البطولة الى النعش.
وفي جعبة الضجر ما يشبه الحكمة:نحن،نحن الذين نختار زمان المعركة ومكانها ونتائجها.
ولِن نستخدم هذا السلاح إلا وقت الشّدة.
مَن يعرف وقت الشدة ومن أين تأتي الشدة في هذا الراخاء المرفّه؟
هم يعرفون أكثر مما نعرف.قدتأتي من حي أو من شارع يغضب،ولكن
مَن يُغضب الشارع الذي أدمنا هجاء حرّاسه وتبرئته من غياب الحماسة
لنبرئ الأمل من داء عُضال.
أما مِن أحد في هذه القارة يقول:لا؟أما مِن أحد؟
ما من أحد....
وزراء الدفاع كانوا يتلهفون بفقاعات الشمبانيا مع القتلة،
كلّما جاءهم خبر تضييق الخناق على تل الزعتر،فبماذا يتّلهون الآن أثناء تضييق الخناق على بيروت؟
لقد رأينا صورهم على أحواض السباحة.أليس شهر آب حاراً.ورأينا تعب المحاربين المدججين بالبنادق
وهم يرفعون ابتسامات أسيادهم السائلة حتى الركبتين
في محاولة لإعادتها الى الأفواه المفتوحة سالمة.سالمة من عيون المارّة ومن حصاربيروت...

ولكنني لاأغضب كما يغضب غيري،من المظاهرات العربية الصاخبة التي
خرجت تحتج على حكم
منحاز في مباريات كرة القدم،لالأن كرة القدم تلهب الحماسة أكثر من هذا
الصمود الطويل في بيروت،
بل لأن المكبوت العربي المتعدِّد المصادر قد عثر على نقطة الانفجار في
المُتاح العربي.
ووجد فرصة التعبير الممكن عن غضب مزمن في حرب لاتُهدِّد الوطن مادياً
في
حرب معنويات تنتهي الى هدنة أكيدة بعد خمس وأربعين دقيقة
يعيد خلالها المتحاربون توزيع صفوفهم وتعديل خططهم الهجومية
والدفاعية،
ويتزوّدون بما يحتاجون اليه من ذخيرة معنوية ونجدة شعبية،
ثم يعودون الى القتال تحت إشراف قوات دولية لا تسمح باستخدام
الأسلحة المحرّمة دولياً.
وتنتهي الحرب المحدودة المسيطر عليها في ساحة المعركة وخارجها
ولاتتجاوزها الى حدود البلدين،
باستثناء حالات نادرة كما حدث بين السلفادور وهندوراس.
ولكن التوازن الدولي الدقيق الممثَل في مجلس الأمن تمكن من إصدار قرار
قابل للتنفيذ.
ولأني أحب كرة القدم لم أغضب كما غضب غيري من المفارقة.
لا مظاهرة واحدة يثيرها حصاربيروت،بينما تثيركرة القدم هذه المظاهرات
أثناء حصاربيروت.
لما لا؟إن كرة القدم هي ساحة التعبير التي يوفرها تواطؤ الحاكم
والمحكوم في زنزانة الديمقراطية
العربية المهددة بخنق سجنائها وسجّانيها معاً،هي فسحة تنفُس تتيح
للوطن المفتّت أن يلتئم حول مُشتَرك ما.
حول إجماع ما حول شيئ ما تُضبُط فيه حدود الأطراف وشروط العلاقة
مهما تسرّبت منها إيماءات ذكية،
ومهما أسقط فيها المشاهد على اللعبة مافيه المعاني المضغوطة،وطن،
أوشكل من تجليات روح الوطن يدافع عن كرامته أو تفوقه أمام الآخرين،
فلا يخسر توزيع القوى الداخلي شيئا من تماسكه الظاهري.
المتفرجون يستولون على أدوارهم الغائبة في السياسة،
يستحضرونها بإحالتها على ذكاء العضلات ومناورات اللاعبين
واندفاعهم نحو هدف واحد هو تصويب الهدف.
والحاكم الذي عيّن نفسه معُبِرا عن روح الأمة يعبّرعن نصر هو نتاج
سياسته الحكيمة وتنشيط الإرادة والطاقات.
لعله وليس اللاعب هو الأقدر على التأويل
لأنه هو صاحب الأمةوراعيها وهو الذي ينفق من ماله الخاص على تشجيع
الرياضة.
ولكن الأمر ينقلب الى عكسه حين ينهزم الوطن اللاعب أمام الآخر.
عندها يتنصل الحاكم من الهزيمة ويحمّلها للأجهزة،

لتاريخ التقاليد مرة للمدرب مرة ثانية،لانتكاسة اللاعبين المحاربين مرة ثالثة،
ولانحياز عوامل خارجية متمثلة بالحكم مرة رابعة.
لا ليس للهزيمة أب واحد ،وفي السياسة ليس من التقاليد العربية الحديثة معاقبة القائد على الهزيمة.
إنه يدعو الشارع للعطف عليه،ولمواساته الجماعية المعبّرعنها في دعوته الى البقاء على العرش ليكيد الأعداء.
أليس مايريد الأعداء هوإسقاط الحاكم،ولتخليصنا من هذه النعمة؟فلننتصر عليهم بالانتصار على أنفسنا
وإبقاء الحاكم المهزوم جلّادا لنا.
ولكن الأمر يختلف في كرة القدم:
في وسع الشارع أن يغضب على اللاعبين وعلى المدرب وعلى الحكم الأجنبي.
اللاعبون خانوا روح الأمة والمدرب أساء وضع الخطة.والحَكَم منحاز.
أما الحاكم فهو بريئ من الهزيمة،لأنه مشغول بقضايا أكثر جدية لذلك
يرفع الشارع الغاضب صوورة الحاكم عالية عالية وينفذ من تحتها الى حرية التعبير:
يشتم الغرب كما يشاء ويومئ الي الداخل كما يشاء.
هذا ما تبقى لنا من حرية،فهل نُفرّط بها؟
وهذا ما تبقى لنا من متعة،فلنصفِّق لمايشير الى العافية.
الأمةفي خير مادامت قادرة على الحماسة.كرة القدم تقول لنا ذلك،
تقول الكرة المذكورة:إن العاطفة الجماعية لم تتبلّد.
وان في مقدور الشارع أن يتحرك بلعبة لا تثير الضجر.
ألم تحتل فلسطين في ما مضى من حاضرنا ،هذه المكانة العاطفيةالحماسية.
ألم يتحرك كل شيئ باسمها ولها ومن أجلها؟
كان ما يصيب فلسطين يصيب الشارع العربي بعدوى الحزن والغضب والصخب.
كان الشارع العربي يُسقط الحاكم لأي مساس بهذا القلب الجماعي.
الآن يتسابق الحكام ليرشوا الشارع،ليدفعوه الى التخلّي عن هذا الإجماع.
السلاح العربي الرسمي يتصدّى علانية للخطوة والفكرة الفلسطينيين
ويحملِّهما مسؤولية بؤس الأمة وعبوديتها.
لولا فلسطين البعيدة المنال الوهميةالمتخيلة المبكرة الى موعدها البعيد،المتقدمة على الوحدة العربية،
لولاها لكنّا أكثر حرية وأوفر ورخاء ورفاهية!!هكذا كان يذيع الخطاب الرسمي شائعات الضجر.
ولكن الشارع يعرف كيف يناور ويؤول ويستخدم الكناية،فإن السجون ليست شرطا لتحرير فلسطين..
"ولاصوت يعلو فوق صوت المعركة"لم يقدم غير معنى واحد:
لا فلسطين،ولا معركة،ولا صوت.عاش السوط!!
لذلك كان سؤال الخبز والحرية يتسلّل الى سؤال التحرير المعصوم عن

العقاب.
الى أن فضح الحاكم اللعبة المؤّولة فحرم فلسطين وأخرجها من الملعب الوطني
ليخرج السؤال الاجتماعي من كلمة سر الأمة...
هامش كرة القدم هو الهامش الفلسطيني السابق..
فليغضب الشارع،ولُيهرّب سؤاله المكبوت الى لعبة لا تثير الضجر،ولاتتيح للحاكم حتى هذه اللحظة أن يُغلِق الملعب.
صمت متوّج بأوهام القادرين الى الآن على تقسيم الجهات الى جهتيتن والألوان الى لونين.
صمت مكلّل بأوهام القادرين على انتظار النجدة.
صمت مُرصّع بذهب الأمل القادم من خارج هذه الساحة
صمت الذين يقودون الجملة الثورية الى خارج مصادرها بتبعية محكمة ومستحكمة
استبدلت الشارع بالعاصمة ونطقت باسم الشارع ضد العاصمة الأخرى
لأنها استثنت عاصمتها...سياج وعيها....من طبيعتها.
وعيّنت للشر المطلق عاصمة،وللخير المطلق عاصمة.
واستطاعت في كل منعطف ان تستبدل عاصمتها بعاصمة أخرى
دون أن تتخلّى عن تدفّق الجملة الثورية المرادفة للعاصمة.
لابدّ من عاصمة...لابدّ من عاصمة..!!

لماذايرتجف الصنم الى هذا الحد،لماذا يرتجف الصنم؟
سيقوب عكس ما هو،سيقول عكس الصمت الذي يُطبِق عليه..
سيواصل تلاوة دراسة البداية،
سيمجِّد امتثال التاريخ والمذابح والعذاب الى برهانه:
ألمِ أقل لكم:ولكنك لاتقول شيئا يا سيدي الصنم..
يندّس في السلطة ليكون معارضاً.
ويندس في المعارضة ليكون هو السلطة.
ويحارب السلطو بسلطة أخرى.
ولايتبعه احد من فرط ما هو تابع.
هذه هي لحظتك يا سيدي الصنم،قل شيئا لتبقى صنما من صنم.
سيقول كلاماً آخربعد أي شيئ آخر
سيقول إنه لم يوافق على الخروج
سيقول إنه قال لنا ولكنه لم يقل لنا شيئا
لماذا أرى الصنم،للمرة العاشرة،لماذا أرى الصنم؟
....
صمت من ذهب،صمت من شماتة.
لذلك أعجبتني غضبةُالأمة على التآمر الغربي العنصري على المشاركة العربية الصاعدة في المونديال.
كانت العلامة الوحيدة على وجود شيئ يتحرك خارج أسوارنا الصاروخية،
كانت الدليل على أن الأمة لا تسمح للأجنبي بأن يخدش روحها.
وكانت تحمل رداً ساخراً على وزراء الخارجية العرب

الذين تنادوا للاجتماع في تونس لبحث امكانية عقد مؤتمرقمة عربي لبحث الاجتياح الاسرئيلي،
وردّاً ساخراً عبى عدم إحتجاج الدولة اللبنانيةعلى هذا
الاجتياح واكتغائها بدور الوسيط بين المبعوث الأمريكي وقيادة المقاومة.
فتساءلنا:لماذا يحرق أصحاب قمة الحضيض العربي ثومهم وبصلهم وأصابعهم.
أليس في الوقت متسّعا للمزيد من الاجتياح وابتلاع الأرض والناس،
إذ لم يمضِ على الغزو غير شهر واحد فقط...
شهر واحد لايزيد عن لحظة عابرة في تاريخ الحكم العربي الخالد.
ولاتكفي لصياغة ردّ الدول العربية على افتراءات المبعوث الأمريكي عليها.
الذي قال:إن هناك قرارا عربيا دوليا بتصفية المقاومة!!خسِئ !
فلماذا تكون الدول العربية على عجلة من أمرها والعجلة من الشيطان الرجيم،
ليقضي وزراء خارجيتها ساعات صعبة في تونس،يختلفون فيها على تحليل أهداف الاجتياح ومداه:
هل هو ضد الفلسطينيين واللبنانيين أم ضد سائر العرب؟
هل سيتجاوز الإعلان الاسرئيلي مداه..
وسيختلفون على تعريف مادة البترول:هل هو سلعة تجارية أم سلاح سياسي؟
لقد شعروا،ثانية بالضجر.فإن الخبر المشتهى لم يُعلَن بعد.
المقاومة لم تمت.وما زال في خزانات الطائرات الإسرائيلية من البنزين والقذائف
ما يكفي لإحراق خمسين ألف طفل لبناني وفلسطيني.
ومازال في مستودعات الأسلحة الأمريكية التقليدية ما يكفي لتدمير كل المدن.
ومازال في بيروت بعض الماء والعلبات والأوكسجين الكافية لمواصلة المقاومة.
ومازال في سماء العرب المفتوحة ممرات كثيرة للمزيد من قاذفات القنابل.
ومازال في البحر الأبيض المتوسط مكان للمزيد من الغواصات وحاملات الطائرات والمعاهدات الدولية.
ومازال في بيروت أهداف مدنية كثيرة لم تُقصَف .فلماذا العجلة فلماذا العجلة؟
....
ونحن أيضاً نحب كرة القدم ونحن أيضاً يحق لنا أن نحب كرة القدم،
ويحق لنا أن ندخل المباراة.لم لا؟
لم لا نخرج قليلاً من روتين الموت.
في أحد الملاجئ استطعنا استيراد الطاقة الكهربائية من بطارية سيارة.
وسرعان ما نَقَلنا باولو روسّي الى ماليس فينا من روح.
رجلٌ لايرى في الملعب إلا حيث أن يُرى.
شيطان نحيل لا تراه إلا بعد تسجيل الهدف.
تماما كالطائرة القاذفة لاتُرى إلا بعد انفجار أهدافها.

وحيث يكون باولو روسي يكون الجوول
يكون الهتاف ثم يختفي أو يتلاشى ليفتح مسارب الهواء من أجل قدميه المشغولتين
بطهو الفرص وإنضاجها وإيصالها الى أوج الرغبة المُحققة.
لاتعرف إن كان يلعب الكرة أم يلعب الحب مع الشبكة.
الشبكة تتمنّع فيغويها ويغاويها بفروسية إيطاليّة أنيقة على ملعب اسباني حّار.
ويُغريها بانزلاق القطط الهائجة المائجة على صراخ الشهوة.
وعلى مرأى من حُرّاس العِرض المصون الذين يعيدون إغلاق بكارة الشبكة بغشاء من عشرة رجال.
يتقدم باولو روسي بكامل الشبق يتقدم لاختراق شبكة
قابلة للنيل من عضلة الهواء مرتخية عجزت عن المقاومة،فاستسلمت لاغتصاب جميل....
كرة القدم،
ماهذا الجنون الساحر،القادر على إعلان هدنة من أجل المتعة البريئة؟
ماهذا الجنون القادر على تخفيف بطش الحرب وتحويل الصواريخ الى ذباب مزعج
وما هذا الجنون الذي يعطل الخوف ساعة ونصف الساعة،
ويسري في الجسد والنفس كما لاتسري حماسة الشعر والنبيذ واللقاء الأول مع امرأة مجهولة..
وكرة القدم هي التي حققت المعجزة،خلف الحصار،
حين حركت الحركة في شارع حسبناه مات من الخوف ومن الضجر.
ولم أفرح بتظاهرات تل أبيب التي تسرق منّا كل الأدوار.
فمنهم القاتل ومنهم الضحية.
منهم الوجع ومنهم الصرخة.
منهم السيف ومنهم الوردة.
منهم النصر ومنهم الهزيمة،
لأنها تشي بتغييب ابطال المسرح.
لقد اعتادوا الحرب السهلة وتعودوا على الانتصارات السهلة،
وقد سهلّ التنافس الانتخابي بين الحزبين الكبيرين عملية انفتاح شوارع تل أبيب على عشرات الآلاف من المتظاهرين.
واستنهضتهم ضحاياهم الى درجة دفعت ضابطا كبيرا الى الاستقالة.
كنت أستمع الى إذاعتهم ولاأفهم سر البكاء.المنتصر مهزوم من الداخل.
المنتصر يخشى على فقدان هويته:الضحية.
لا حق لأحد في أن يحرز هذا الإنجاب :أن يكون الضحية،لأن انقلاب هذا الدور على أصحابه يقلب ميزان العدل الرملي.
وبالنيابة عنّا كانوا يصرخون،وبالنيابة عنا كانوا يبكون،وبالنيابة عن جدارتهم كانوا ينتصرون.
أهنالك ما هو أقسى من هذا الغياب:
ألا تكون معبِّراً ع ن النصر،وألا تكون معبِّرا عن الهزيمة.أن تكون خارج المسرح.

ولا تحضر عليه إلا بوصفك موضوعا يقوم الآخرون بالتعبير عنه كما يريدون.
"إن أردتم فليست تلك خرافة"هكذا أطلق هرتزل شعارالصهيونية الداعي الى
تأسيس دولة لشعب لاأرض له على أرض لا شعب لها!!
وفي حصاربيروت الذي يشهد على وجود شعب له أرض محتلة مع غزاة سرقوا تلك الأرض
قام ناتان زاخ أحد شعراء الحداثة العبرية بتعديل شعار هرتزل بسخرية لامعة:
"إن أردتم فليست تلك بخرافة:نصر اسرائيل لن يخيّب،ولكن لن يدوم لكي يخيّب"
عشرات القصائد العبرية تحاول التعبير بدلاً من القصائد العربية عن حصار بيروت،
والاحتجاج على المذبحة.
منهم الخطيئة ومنهم الغفران.
منهم القتل ومنهم الدموع.
منهم المجازر ومنهم عدالة القضاء.

ساعات من بعد الظهر،رماد من بخار،وبخار من رماد.
المعدن سيد الوقت.لايفلُّ المعدن غير معدن آخر يصنع تاريخا آخر
القصف يطال كل شيئ ولا يبدو أن لهذا اليوم نهاية.آب أقسى الشهور آب أطول الشهور.
وهذا اليوم أقسى أيام آب وأطولها.أما لهذا اليوم نهاية؟
لا أعرف ماذا يحدث في ضواحي المدينة،لأن هدير المعدن حجب عنّا صمت

الملوك والرؤساءووزراء الدفاع المشغولين بقراءة مالايقرأون.
ولم يبق أمامنا سوى سلاح الجنون.نكون أو لا نكون.نكون أو نكون.لانكون أو لانكون.
ليس لنا غير الجنونِ.تاريخ يتغيّر شكله ومؤرخوه.تاريخ يكتب صورة النهر،
فمن يؤرخ القاع ومن يؤرخ الطحلب ومن يؤرخ خروج العدو من الأخ ودخول الأخِ في العدو؟
ومِن أطلع في وجهي ثانية هذا الحلزون؟
حلزون يحمل عبء لعابه الأخضر.
حلزون يسوّد حائطا ويمنعنا من الاقتراب من حائط نسقيه بالدم من أجل أن يستولي هو ،
الحلزون على العرش نحن المتْخمين موتا بما ليس لنا ندافع عمّا ليس لنا.
وليس لنا هذا الطريق المؤدي الى الجبل.وليس لنا خطاب المنصة التي سيعتليها الحلزون.
ويفاخرالأمم بتارخ ليس له،بتاريخ مسروق من حاجة البطل الى موطئ للكعب.
لماذا يطلع الحلزون في وجهي مرة أخرى ،في نهار واحد؟تبّاَ لهذا النهار تبّاً لهذا النهار..تبا........

....
جالسا في ركن قصيّ،
قصي عن الآخرين وعن نفسي أفكِّر فيما يرد عليَّ من منام يخرج من منام:
هل أنت حيّ؟متى حدث ذلك؟هل تحميني الذاكرة من هذا التهديد؟
هل تستطيع سوسنة الماضي أن تكسر هذا السيف المرصّع بالقذائف؟
ولماذا هي..لماذا هي؟
لماذا تطلع السوسنة من نشيد الأناشيدوقد أُوقِفَت الشمس والقمر على اسوار أريحا ليمتد زمن القتل؟
..حصّة للطفولة وحصة للشبق.جسد للمغفرة جسد للشهوات.
يذوب رخام الكلام ليصقل مدائح الساق التي تشقٌّ المقبرة الى حديقتين:حديقة للماضي وحديقة للحلم.
ويلمع البرق الأول في العظام اليافعة.
كم إمرأة فيك لأسقط زحام روحي وأنجو على توالد اللحظة.
كم امرأة أنت ليدخل الوقت في الوقت ويخرُج خيطاً من حرير يصطفيني لاختيار مشانق الدم.
كم امرأة فيك لتتقمّص البرهة تاريخ الصلاة والمجون على قدمين هما ختم جهنم والجنة!!
كم امرأة أنت لتكون سيرة هذا البطن المعجون من رائحة الفل
ومن لونه التائه بين الضوء والحليب سيرةً لحروب الدفاع عن الصبا والأربعين.
كم امرأة أنت لأستردّ الشتاء السابق من كل مايأتي من مطر أختار قطراته شبهاً لما عرفت؟
ولأقارن اللذة باللذة ،هل كنّا معاً حقّاً على صوف تلك الأرض؟
أقلِّد ما لايتبدد من رعشة تهزّ الغرف حين يوحِّد ما يتجدَّد فينا ظني بأني معك.
ولم أقل إني أحبك،لأني لاأعرف إن كنت أحبك مادمتُ أخبِّئ دمي تحت جِلدك
وفي شعيرات السر المقدس أذرف عسل النحل الأحمق،
السرالذي امتصني لأجد جسدي يتوالد بلا انقطاع.
ولم تقولي أحبكَ لأني لن أصدق أن جميع النساء اللائي
ولدنَ على جبل جلعاد وفي سومر وفي وادي الملوك يجتمعنَ علي الليلة.
كم امرأة فيك لتنوح أحلامي على ما تفقد الأمم من شتاء يستحق أن تكوني أمّه وسيدته.
في كلِّ امرأة جميلة هِبةَ من وصايا قدميك للأرض،
وإرث لاينقطع عن تزويد الغابات بهستيريا العشب.
وليت واحداً منّا يمقت الآخر ليصاب الحب بالحب،
وليت واحداًمنّا ينسى الآخر ليصاب النسيان بالذكرى.
وليت واحداً منّا يموت قبل الآخرِ ليصاب الجنون بالجنون.
خذني الى استراليا قالت لأُدركَ أنه آن لنا أن نبتعد عن الفارق والحرب.
خذني الى استراليا لأنني كنت عاجزا عن الوصول الى القدس.

كنت خارجاً من حزيران بعناد لم يرحمني:
للجيوش أن تُهزَم وللنحلة في قلبي أن تصمد،
وللروح أن تنتصر عليّ وعلى أعدائي.
كانت الفتوة والغنائية تحفران لي مساراًآخر على جبل يطل على ساحات تاريخ:
عظام أحصنة،ودروع مثقوبة وأعشاب
من تلك الإطلالة يتضاءل الراهن ،
ولاتعود الموجة عنواناً للبحر ،
فأحمي نفسي وربما غيري من هيجان اللحظة بانتقالي من شهيد الى شاهد.
ولكن لماذا أتذكرها في الجحيم في هذه الساعة من ساعات بعد الظهر في هذا البار الملجأ؟
ألأنّ امرأة أخرى جالسة قبالتي تعيد مشهد الصرخة،أم لأنّ منام أخرجها من منام هذا الفجر؟
لاأعرف كما لاعرف تماماً لماذا أتذكر أمي؟ ودرس القراءة الأول
وفتاتي الأولى تحت شجرة الصنوبر وعقدة الناي التي لاحقتني خمسة وعشرين عاماً؟
تعود الدائرة الى نقطتها الأولى...
وكلانا يقتل الآخَر خلف النافذة...
لا تقضمني كتفاحة،فلَنا هذا الليل كله.
خذني الى استراليا حيث لاأحد منّا هناك،لاأنت ولاأنا...
كانت تضع الحطب في الموقد وكانت الأغنية تُعيدالأغنية ذاتها:
سوزان تأخذك الى النهر.
الكلمات جميلة.والصوت لايغنّي بقدر مايقرأ شعرا لا يصل الى أي مكان.
إنسان وحيد في البراري إنسان يقول تماسك ليحمي نفسه من العزلة،
ليدل نفسه على نفسه.
متى تقبلني ؟
عندما أصدق أن في وسعي أن أصدِّق أن هاتين الشفتين مفتوحتين لأجلي..
إذن لِمَن؟
لصوت قادم من كوكب بعيد.أتعرفين أن في وسع عينيك أن تُلَوّنا أي ليل بأي لون تريدين؟
قبّلْني!!
مطر خلف الزجاج وجمر داخل الزجاج.لماذا تُمطِر الى هذا الحد؟
لكي تبقى فيّ/
تتوالد الشهوة من الشهوة،
مطر لايتوقف،
نارلاتنطفئ،
جسد لا ينتهي،
ورغبة تضيئ الظلام والعظام.
ولا ننام إلا ليوقظنا عطش الملح الى العسل،ورائحة البن المحروق قليلا

على اشتعال الرخام.
بارد وساخن هذا الليل،ساخن وبارد هذا الأنين.
ويكويني حرير لايتجعد بل يشتد كلما احتّكّ بمسام جلدي وصاح:
الهواء إبر من لعاب دافئ بين أصابع قدميّ
وعلى كتفي أفعى من الكهرباءتزحف وتشرِّب على الجمر.
وفم يلتهم هبات الجسد،ولايُبقي من اللغة غير صراخ الغُرف الموصدة على
حربِ الحيوانات الأليفة.
وعرَقٌ يُبرّد الهواء ويجفل..
وكلانا يقتل الآخر خلف النافذة..

الساعة الخامسة بعد الظهر هنا.ناديت النادل:أعطني من مزيدا من البيرة
هل مرّ"س"؟لم أره من يومين.والسحلية؟سألَت عنه وذهبت.
وأستاذ اللغات السامية القديمة؟لم يأت بعدوالشاعر الممتلئ بفراغ
فصيح؟
ذهب منذ قليل.وأستاذ الأدب الانجليزي في الجامعةالأمريكية؟
مرّ في الصباح.والقائد المتقاعد؟لم يأت.
ووفد الهلال الأحمرالدولي؟يأتي ويذهب.
أعطني مزيدا من البيرة.أين النادل الباكستاني ؟يأتي في الليل.
لعلّ المرأة الجالسة قبالتي لاحظَت ما أسرق من ساقيها،فمدّدتهما،
سلّطتهما على عطش رغبتي وطلبتُ مزيدا من البيرة
الساعة الخامسة صباحا يا عزيزتي
قالت بِدعابة:وهل ينعس العربي؟أما أنا فلاأريد أن أنام.
قالت:نَم.وسأحرس نومك.
قلت:سيوقظني لَيلَكُ نظرتك الصافية.
هل تعرفين أن عينيك تدفعان أي ولد شقي الى عبادة الهواء؟
قالت:وماذا تفعلان بالرجل؟/قلت:تدفعانه الى الفروسية.
قالت:نَمْ/قلت:هل تعرف الشرطة عنوان هذا البيت.
قالت:لاأظن ذلك لكن الأمن العسكري يعرفه.هل تكره اليهود؟
قلت:أحبُّك الآن.../قالت:ليس هذا جوابا واضحا.
قلت:وليس السؤال واضحا،كأن أسألك:هل تحبين العرب؟
قالت:ليس هذا سؤالا/قلت:ولماذا كان سؤالك سؤالا؟
قالت:لأن فينا عقدة ونحتاج الى إجابة أكثر من حاجتكم إليها.
قلت:هل أنت حمقاء؟
قالت:قليلا،ولكن لم تقل لي إن كنتَ تحب اليهودأم تكرههم؟
قلت:لاأعرف لاولاأريد أن أعرف ولكنني أعرف أني
أحب مسرحيات يوربيدوس وشكسبير وأحب السمك المقلي والبطاطا
المسلوقة
وموسيقى موزارت ومدينة حيفا وأحب العنب والمحاورات الذكية وفصل
الخريف
ومرحلة بيكاسو الزرقاء وأحب النبيذ وغموض الشعر الناضج.
أمّا اليهود فليسوا سؤالا للحب أو المقت.

قالت:هل أنت أحمق/قلت:قليلا
قالتِ:هل تحب القهوة/قلت:أحب القهوة وأحِب رائحة القهوة..
نهضَتِ عارية حتى مني فأحسستُ بوجع مَن خلعوا عضواً من أعضائه.
صِحتُ:تعالي فورا،عودي من رائحة القهوة،فأنا ناقص،ولاأستطيع
لاأستطيع...
ماذا دهاك؟هل انتهى كل شيئ
ماذا دهاك؟لاأستطيع العودة الى نفسي
]وكلانا يقتل الآخر خلف النافذة[
خذني الى استراليا/خذيني الى القدس
لاأستطيع /ولاأستطيع الرجوع الى حيفا
بماذا تحلمين عادة؟عادة لاأحلم.وأنت بماذا تحلم؟
بأن أتوقف عن حبك./هل تحبني؟
لا...لاأحبك..هل تعلمين أن أمك سارة قد شرّدت أمي هاجر في الصحراء.
وماذنبي أنا ألهذا لا تحبني؟
لاذنب لك ولهذا لاأحبك أو أحبك...
عزيزتي ملكتي جميلتي الآن الساعة الخامسة والنصف صباحاً،وعلي أن أعوِد إليهم،
لمَن؟الى شرطة حيفا لأثبت لهم وجودي في الثامنة صباحا.
تثبت وجودك؟وفي الرابعة بعد الظهر
وفي الليل؟يأتون في أي وقت بلا موعد ليتأكدوا من وجودي..
وإذا لم يجدوك في البيت؟سأكون مسؤولاًعن أي حادثة تقع في هذه البلاد من مرتفعات الجولان حتى قناة السويس.
وما هي العقوبة؟
مجرد غيابي عن البيت ليلاً يساوي إعتقال لمدة خمس سنوات على الأقل.
أما إذا وقع حادث أكبر فإن العقوبة هي السجن المؤبد على الأقل
وماذا ستقول في المحكمة؟
ساقول:كنت هنا أحيا نشيد الأناشيد.
مجنون؟مجنون..أعرف ذلك
ولا تحبني؟لا أعرف
]وكلانا يقتل الآخر خلف النافذة[

وهناك في الركن القصيّ أرى الفروسية الطالعة من مدائح العرب.
فرس تشاكس المجهول ،فرس تشاكس اللغة،
فرس تنبثق من قطرة الضوء المتلألئة على حقل تفتحه ذبذبة جيتار ينادي أعراس الفرسان القتلى.القباب والمآذن والأبراج والمدى تتبع ظلّ العاشقة الذي يتبع جهة الرمح المتوتّر.
سأدير ظهري للخناجر كي ألامس طحلب المايخا
وأسقط في علوّ الموت الشاهق محروس بالنعناع والشظايا التي لاتسمح لأحد
بالاقتراب من الفضاء المفتوح لخطوتين..الحب أن تترددي.

والحب أن أسخى بمزيد من حيوانات الروح.والحب أن لا أسمع منك غير الأنين.
للهواء أن يتحوّل الى مادة صلبة.وللبحر أن يُهدِّد.
ولك أن تلقي بعتاد الجسد الخائف الى أقصى الخوف لنأمن هذا الباب الخشبي الهش.
إصعدي مائة واثنتي عشرة درجة كي يتصبّب لهاثك
صهيلا يتعب وكي أمسح العرق بجلدي المنذور لهذا الواجب.
سأدعوك"ج"لأنك مطلع الجنون ومطلع جهنم ومطلع الجنة ومطلع جميع الشهوات
المنتصرة على حرب بجماع لايتحقّق إلا في الخوف من الموت.
دعي ابنتك تلعب مع أستاذ الكيمياء وتعالي الى مرصد الصواريخ لنرصد ما في الجسدين من قطط.
قدمُك مصقولة كحجر في شتاء الجبال،
حجر يندس في خاصرتي لأصرخ نبيذا من خوابي الأديرة.
ولأصرخ كي لا تظني شيئا غير الحصاريوجع.ولا
أردُّ التحية لأني تواطأت مع قصتي على رغبتي من أول خصلة شعركسرتني.
فللشهوة أيضا قناع،لتطول اللعبة عاما آخر.
تعبت من قناعي ومن لعبتي ومن تعبك.
فلا تدقي بلاط الشارع أكثر بصهيل يحفرني.تعبت من حوادث سير لا تليق بهذه الحرِب كأن ترتطم كتفي اليسرى بكتفك اليسرى في تقاطعِ صبياني المشهد.
ومن العارأن نموت حبّا في زمن الحرب ،هل أحبك؟
لاأحبك إذا كان الحب يستغرق وقتاً اطول من إطلاقة رصاصة على نخاع شوكي.
وأحبك إذا كان الحب امتثالا لصاعقة برق تضربني الساعة.
تعالي لنعرف الجواب.تعالي لنسأل السؤال.
فما على المحاصِرين في هذا الركن الأخير من العالم غير أن يَعتِقا جنّ الشبق من سجن الكلام والذهب.
ومن الظلم أن نهاجر بلا إلتصاق.
من الظلم أن نُرجِع النظرة من منتصف الطريق الى عيون تصبُّ العسل على النار.
عيناك تجرحان الحجر وتذيعان في دمي دبيب النمل،
فمتى أجمع هذا النمل وأعيده اليك الى بيت النمل
لأتوقف عن حكِّ دمي بنظرات الساق الى الساق.
اخرجي من هذا الباب الى اليسار،ثم انعطفي يمينا...
وامشي عشرين متراً ثم انعطفي الى اليسار ومنه الى اليمين ثلاثين متراً بعدها انعطفي الى يمين آخر.هناك شجرة زنزلخت كبيرة،شجرة وحيدة ستدلُّكِ على ساحة صغيرة..
اقطعيها واتبعي رائحة الهال الى مدخل البناية كما يتبع كلب البحر رائحةالدم

اتبعي صوت دمي واصعدي مائة واثنتي عشرة درجة.ستجدين الباب مفتوحا
وستجديني خلف الباب مشويا من الانتظار،جاهزا للموت واقفا معك واقفا فيك حتى يفصلنا صاروخ لنجلس.
دقّي حجرالسلالم كما يدق كعبكي العالي طرف القلب ويترك قطعة صغيرة منه لكلاب الشارع.
كم أحبُّ الحذاء العالي لأنه يشد الساقين في كلية الأنوثة المتأهبة للاندلاع،
والحذاء العالي يختصر البطن ويفتح انحناءة لبطن ينكمش من عطش.
والحذاء العالي يدفع النهدين ليتكورا ويشرئّبا على المارة المحرومين مما يهتفون.
والحذاء العالي يُعّبُّ القدمين في أهبة الرقص فوق الدخان المتصاعد من رغبة محروقة.
والحذاء العالي يتلع الجيد كلحظة انقضاض الخيول على هاوية.
والحذاء العالي يوقف الرمح على منبر من هواء صلب.
دقّي بلاط الشارع بنفور غزال لا تتلقّفهُ ذراعان ولا كلمات.
واتضحي رويدا رويدا خلف الباب المُغلَق.
أمام هذا الباب مقعد جلدي صغير يحملنا ويتّسع لنا.
سأجلس أولا وتجلسين.فغرفة النوم مكشوفة من جهة البحرالذي يرانا، ويتوعد ويقصف.وغرفة الاستقبال مكشوفة من جهة البحر.
وغرفة المكتب مكشوفة من جهة البحر.لم يبق لنا غير هذا المقعد الصغير،
ارتجفي وانتفضي وانقصفي،ولاتنزعي ثيابك لئلايرانا الموت عاريين.فرس على حضن رجل.
لا وقت لغير الحب السريع ونزوة الخلود العابر.
لا وقت للحب في حرب لا نسرق منها غير امتصاص مصادر الحياة.
أمِن طبيعة الحرب أن تخلِق هذا الشبق؟
أمن طبيعة الموت أن يتوتَّر هذا التوتُّر؟
يدان تخرمشان الحائط لمنع القطط من الرحيل.
وفم مفتوح لأصوات البراري الموحشة لإغراء الذئاب.
وأحبُّ هذا الحب الذي لا ثرثرة فيه ولاأناقة كلام وارتداء ثياب على مهل وعلى مهل.
لا وقت لذلك الطقس الذي يُبدِع الغربة وتباطؤ الخروج من العناق.
فنهرب الى سيجارة ندعي تأمُّل ما ترسمه دوائر الدخان الأزرق.
وننظر الى الساعة لا لنرى الوقت بل لنعرف ما يتسلل أحدنا من الآخر.
وأحب هذا الحب الذي لايترك وجعاً في الذكريات ولاندبة في الروح.
حبٌّ يزوّد الروح بهبوب الفراش على وردة الروح.
لحظة عابرة أبقى وأنقى جمالا من بيروقراطية الحب الطويل المحتاج الى إدارة شؤون المواعيد وصيانة الحنين من العطب.
نزوة هي مجال الشاعر في التباس التشابه بين المرأة والأغنية.
نزوة هي حرية الصمت المتحرر من آخر ينقلب الصمت معه الى غربة.
عالمان لا يتداخلان بغير القمع.لا مساواة في العاطفة.

عالمان يعودان حين يصمتان الى ماكان من ذكريات لا تتصالح بقدر ما
تتصادم
وأحب الحب على هذا المقعد الذي لا يحتاج الى إعادة ترتيب لأنه لا
يتجعلك،
كما كنت أحبه على ظلام صخرة على شاطئ البحر،
أو في سيارة تختبئ في غابة صفصاف،أو في قطار ليلي لا نعرف فيه
الأسماء،
أو في رحلة طيران ليلي طويلة،أو على سياج ملعب يصفِّق فيه الجمهور
لخطاب يشارك فيه
العاشق العابر العاشقة العابرة الرقص والهتاف على نداء أوجٍ آخر.
أحب هذه اللحظات النوزات المتحررة من الكلمات والواجبات.
ولكن الحرب تُضفي تصوّفاً شهوانياً على هذا الاختلاس الرائع.
فما أجمل أن يموت الانسان على ضفّة نهر العسل الحامض بلا فضيحةو
بلا عُريٍ وبلا أولاد.ماأجمل أن نتغلّب على الحرب فينا بهذا الخوف الذي
يوحِّد الجسدين.
وماأجمل أن نودِع أيامنا على إنفتاح وردة تعرق وتشهق وتتمزّق من
احتكاك الندى والملح،
تحت قصف جوي وبري وبحري نسوس فيه مسار اللذة المستقيم صعوداً،
ساخرين من عواء الحديد بعواء اللحم والدم والعصب المشدود.
فلا تسأليني إن كنت أحبك أيتها الفرس التي تترجل عن حضن فارسها
لتذهب الى مهرتها الصغيرة،
التي ترعى بين الصواريخ وأقداح البيرة واستاذ الكيمياء والممرضات النبيلات

القادمات من اسكندنافيا لاستبدال الموت إحباطاً وغماً بالموت في قضية.
لاتسأليني إن كنت أحبك لأنك تعرفين كم يعبدك جسدي الباحث عن
سلامته في جسد،
خذي خبزا وزجاجة ماء لتقولي إنك كنت تبحثين من ساعة عن خبز وماء.
ستزورين قصيدتي يا"ج"لأنك لم تذهبي معي كما ذهبت السوسنة
الطالعة من نشيد الأناشيد.
ستزورين قصيدتي يا"ج"لأنك اختفيت كما اختفت،وستخرجين من منام يخر
من منام يا"ج"
كما خرجت السوسنة من هذا الفجر.

والقصف يقصف كل شيء يقصف حتى الخوف.
أفكر في هذا الركن القصيّ بهذا الشاب الباكستاني الغائب.
ما الذي جاء به الى هذه المدينة من آسيا البعيدة.
كان يطارد الرغيف فاصطاده الرغيف في هذا الحصار.
استدرجه الرغيف من لاهور،جعله يلهث آلاف الكيلو مترات كي
يلامس هذه المعجزة الانسانية:
رغيف الخبز،رغيف الخبز الذي يقتله في حرب لاشأن له فيها،
فلا يعود حيّاً أو ميتاً الى أي مكان.لايعود الى أي قبر.

باطل الأباطيل الكل باطل.
وأفكِّر في الطرائق المعقدة لنهاية جسد كافح حتى النضج ليحترق أو يختنق.
باطل الأباطيل والكلُّ باطل.
وقد علّمَتنا معاشرة الموت أن الموت لاصوت له.
فإذا سمعت صوت الصاروخ فذلك يعني أنك حي،
ذلك يعني الصاروخ قدأخطأك وأصاب غيرك،أصاب العامل الباكستاني على سبيل المثال.
الصاروخ يسبق صوته.إن لم تسمع صوته فاعرف أنك مُت.
باطل الأباطيل والكل باطل.
ولكن ماسرُّ هذه المناعة؟أشعر بنعاس لايقاوَم...نعاس أقوى من أية قوة..نعاس سلطان..
ولكن"س"يوقظني.أراه مدججا بمسدس طويل،ومتكئِّاً على لعبته العاطفية.
أين كنت؟أين كنت؟إجلِس معي إن استطعت أن توقف ثرثرةالسيدة،أو ارسلها الى أي جحيم.
أين اختفت؟على إحدى الجبهات ،
ماهي أخبار الشباب؟صامدون ولا يهتمون بنتائج المعركة.
إنهم صامدون ويقاتِلون.ولكن الناس تعبت ويقال إن صمودهم مرتبط بخروجنا.
هل صحيح أننا سنخرج؟طبعا سنخرج ألن تعرف أننا سنخرج؟
كنت أظن أن الخروج مناورة.هل سنخرج حقا؟سنخرج حقّاَ
الى أين؟الى أي مكان عربي يقبل بنا
ألا يقبلون حتى باستقبالنا خارجين؟
بعضهم لايقبل حتى جثثنا وأمريكا تطلب من بعضهم الموافقة على استقبالنا.
أمريكا؟نعم...أمريكا
هل تعني أن البعض يريدنا أن ننتحر ونبقى في بيروت؟
هذا البعض لايتحمّل صمودنا.ولايدعونا الى الانتحار أسوة بالكولونيل الليبي.
ولا يريد لنا أن نبقى في بيروت،أو في أي مكان على الأرض.
يريد لنا أن نخرج ..أن نخرج من العروبة ومن الحياة.
الى أين؟الى العدم
ومتى سنخرج؟بعدما نحصل على عناوين الخروج.
وبعدما نحصل على ضمانات بحماية المدنيين الباقين هنا.وبحماية المخيمات.
أهناك ضمانات؟
هناك ضمانات وقوات دولية ستصل لحماية المخيمات،
ولكن السفير الإيطالي قال لي البارحةكلاما مثيرا للقلق.
قال:لا أحد يضمن ألا يدخل الاسرائيليون بيروت بعد خروج المقاومة.
ألا يمكن إخفاء فكرة الخروج لأنها تؤثِّر على معنويات المقاتلين؟

هذا صعب لأن المفاوضين يذيعونها والدولة اللبنانية متلهفة بحجة أنها تُطمئِن المواطنين.
ولكن،لماذا نخرج؟
لاأحد يوافق على بقائنا،لاالداخل ولا الخارج،ولاتنس أنّ البلد ليس بلدنا.
انتهت مدِّة الضيافةوبعض أطراف الحركة الوطنية يُهدِّدنا ولم يبقَ ما نعتمد عليه:
لا مقومات داخلية ولا مَدد خارجي.
كان"س"أشد الناس قلقا من هاجس الخروج،فهويُخشى اليُتم الجديد، ويخشى أن ننساه في زحام هذه النهايات.
كان واحدا من مئات الكتّاب المهاجرين الى مشروع الثورة المتحول الى بيت وهوية.
لا يملك ما يدل عليه،لابطاقة ولاهوية ولاجواز سفر ولاشهادة ميلاد.
ولهذا وجَد فينا أهله ووطنه،نحن الذين لاأهل لنا ولا وطن.
وكان مع المهاجرين السوريين والعراقيين والمصريين والفلسطينيين قد أنزل على بيروت
معاني نهائية تمنح التباس العلاقة بها شرعية حق المواطنة الى درجة أجفلت الكثيرين
من اللبنانيين الذين لايعرفون مدينتهم ومجتمعهم أكثر منّا.
ويعرفون أنها لاتتحمل هذا الاسقاط،وقدلاحظ بعضهم أن السهولة التي يُوحي بها التعامل مع بيروت،
نصّاً مفتوحا للصراع والكتابة،قد بلغت هامشا من الرهافة يستحق الحذر.
ولكن بيروت هي المكان الذي شهد ازدهار التعبير السياسي و الاعلامي الفلسطيني.
وبيروت هي مهد آلاف من الفلسطينيين الذين لم يعرفوا مهدا آخر.
وبيروت هي الجزيرة التي طفا عليها المهاجرون العرب الحالمون بعالم جديد،
وهي حاضنة ميثولوجيا البطولة القادرة على تقديم آخر وعد للعرب غير وعد حزيران.
فكان كل واحد يُمسِك بما يعنيه من اسم بيروت الذي فتن الجميع الى حد ارتكاب الأخطاء التي لم ينجُ منها أحد.
ودون أن يتمكن أحد من تحديد المعنى الشامل لهذا الافتتان.
وهكذا تحولت العلاقة ببيروت الى إدمان جعلَ اللغة مجازية الى درجة المواطنة.
في غياب الدولة التي قهرت مواطنيها في كل مكان آخر،
مما جعل استباحة الدولة أي دولة في هذه الدولة،
أحد أشكال التدريب العربي على ديمقراطية متخيلة.
فصارت بيروت مُلك مَن يحلم بنظام آخر في مكان آخر.
واتسعت لصياغة فوضى ذات جانب تعويضي حلّت في كل مكان غريب عقدة الغربة.
وصارت شرعية الانتماء الى بيروت انعكاسا لشرعية المعارضة لنظام البطش العربي،

فلم يعد على اللاجئ الى بيروت واجب مراعاة نظامها المُفكّك،بل أباح لنفسه
حق التحالف الداخلي لمواصلة تفكيكه خدمة لمشروع ديمقراطي أكبر
يُخاطب خارج بيروت أكثر مما يخاطب داخلها.
ومن هنا أحسّ المقيمون في بيروت في تحالفهم مع أطراف قواها
المتصارعة بمقاييس أخرى للغربة والمواطنة
حُدِّد فيها للبنانيين أنفسهم وبمساعدتهم مقدار حقِّهم في وطنهم،لأن
الوطن تحوّل من جمهورية الى مواقف.
وفي الشِعر أيضا لم يكن عشّاق بيروت لبنانيين.
وحين أنشد الرحابنة للوطن لم ينشدوا لبيروت
كانت أغنية الحب الطالعة من الحرب"بحبك يا لبنان".
لقد تمّ استثناء بيروت لأنها لم تعد بيروت لبنان.ليست بيروت في الاعتبارات
الطائفية لبنان.
بيروت صارت عربية يُغنّي لها العرب
وصار في مقدور شاعر لبنان سعيد عقل أن ينأى بلبنانه الجمالي الى
أقصى غابات العنصرية،
ليرى أن الحرب لا تدور بين جيش لبنان وجيش فلسطين فحسب بل
إنها حرب ضد شعب بأسره..."الطفل الفسطيني عدو"
"س"وآخرون كونّوا بيروتهم صاغوها على صورتهم.
وبلا مجاملة دخلوا في النسيج الداخلي للصراع الثقافي.
وحين انفضّ عنهم حلفاء الثقافة وجدوا أنفسهم تحت العراء.
لقد سبقت الغزو الاسرائيلي عودة الكثيرين من المثقفين الى أصدافهم
الإقليمية.
تعبيراً عن انهيار المشروع العلماني،وعن نزعة المثقف الى الاحتماء
بالطائفة في عراء الهزيمة الملوحة في الأفق...جرَت إعادة إصطفاف
طائفي
احتلت فيه الطائفة الممتازة مكانة النموذج وقفز بطل الطائفة الخارج من
قاع الجريمة الى بطل منذور
لسائر المعبرين عن طوائف أخرى تحتذي استلابها،
فتسابق شعراء البديل السابق الى إيواء الشرقية للحصول على صك
غفران في محبة لبنان
ممّن أتقنوا ارتداء القناع الفاتن"تحريرلبنان من الغرباء".
لقداحتاج الخراب الى دولة واحتاج الخائفون الى أية دولة
فازدهرت الحياة الثقافية في المنطقة الشرقية المرشحة لتوحيد الوطن،
وازدهر كازينو لبنان بعروضه الفنية التي لم ينقصها غير فرقةالرقص الليبي
المُحاطة بدويّ إعلامي صاخب.
ولم يتساءل أحد عن المغزى السياسي للهفة الكتائب على الرقصات
الليبية،فقد كان المغزى شديد السخرية والوضوح.
وحين سجّل"س"ملاحظة الكرمل على عودة بعض المثقفين من المشروع
الديمقراطي الى الصدَفة الطائفية

حوّلونا الى"سنّة"وانهالت علينا الحملات والتهديدات من الشعراء
والرّسامين والمسلحين الذين اعتبروا نقد عودة المثقّف الى الطائفة
تشهيرا منّا،كمعبرين عن طائفة،بطائفتهم.وحين كنت أقسم بأنني لاأعرف
ماهي طائفتي لم يصدقني أحد.لأن الوباء كان قد استشرى،
ولأن أي فهم لما يجري في لبنان خارج حدود الفهم الطائفي هو فهم
قاصر.
كان"س"يحمي كتاباته بعضلاته فقد واصل زيارة مقاهي شارع الحمراء
ومقارعة الحجة بتحسسُّ المسدس.
أما أنا المشاع للحملات الصحفية فلم أنجح في تبرئة نفسي من جريمة
القول إننا"جزء...لاجزيرة":
(التجربة مفتوحة على حوارالإبداع والأفكار،فنحن مازلنا نحاول ملامسة
التطبيق العملي لخيارنا الوحيد:
الإبداع في الثورة والثورة في الإبداع
لنتجاوز التجّني الذي يرتكبه الميل العام الى المناداة بالاختلاف أو الخلاف
بين مفهومي الثورة والإبداع،
حيث يحاول أحد أطراف هذا الميل تحقيق الطلاق بين اللغة الأدبية وبين
الواقع لبلوغ"الأدب الصافي".
ويحاول الطرف الآخرجرّ الأدب الى تقديم الخدمات اليومية المباشرة
للبرنامج السياسي.
نحن نتاج هذا الواقع وهذا الزمن الذي تختلط فيه الانهيارات
الواضحةبالولادات الغامضة،
ولانتوب عن أحلامنا مهما تكرر انكسارها.
ولانواجه الأزمات التي تلتفُّ حولنا باسقاط الفكرة وبالنزهة بين الماضي
والتراث.
لأننا لا نكتفي فقط بتحديد المساحة بين الدم والنفط.
فقد إخترنا أن نعتقد أن المستقبل يولد من هذا الحاضر
بالطريقة التي ننخرط فيها في عملية التغير ولايأتي من ماض يتحول من
الأزمات الى سيّد الأيام.
وحين نلاحظ أن الثورة لم تكتُب بّعْد أدبها إلا بالجسد
فإننا ندرك أن معادلة الفعل_القول المترابطة في سياق التجربة تنضج لتنتج
الأدب الجديد.
وندرك أننا جزء من الثقافة العربية الوطنية لاجزيرة فيها،
لذلك لم نقبل أن يكون صوتنا هو صوت الهوية الضيّقة
بل ميدان العلاقة الأعمق بين الكاتب العربي وزمنه الذي
تتخذ فيه العملية الثورية الفلسطينية شكل كلمة السر العلنية حتى
الانفجار العام.
إننا لا نؤسّس تياراً في الأدب بقدرما نشيرالى سياق أو مجرى كبير يعطي
مفهوم وحدة الثقافة العربية الوطنية شكلاً من الأشكال في وقت يتعرض
فيه الى أكثر من محاولة تفتيت أو وأد.
وهي الثقافة المفتوحة على تاريخها في تعدُّد مصادره.
وهكذا لاتقول إن الشرق شرقي كله ثقافياً وأن الغرب غربي كلُّه.

فنحن لانعرف شرقاً واحداً ولا نعرف غرباً واحداً ولا نريد أن نُحبَس في معنىً لم نختره بحرية.
وهكذا لا نتعامل مع حملة التصدي للغزو الثقافي الغربي الرائجة في هذه الأيام
بعدما أطلقها كرّاس أو كرّاسان إلا بقدر ما تستطيع هذه الحملة التمييز بين المصطلحات
وتحاشي الوقوع في بئر تغلِق علينا الأفق كله وبقدرِ ما توضع في سياق البحث عن استقلال يرفض التبعية ويرفض التآكل معاً.
وحين نرى إنحطاط بعض مستويات الثقافة وهيمنة الطفيليات الطائفية عديمة الكفاءة والموهبة
على غذاء الناس اليومي أو الأسبوعي أو الشهري،فإننا لا نعلّق:هنا الأزمة فاهربوا.....
بل نضع الظاهرة في عنوانها السياسي وننتبه.....وننتبه الى أسلحة الأدب القادرة على إخفاء خيانتها وادعاء القداسة وهشاشة الأحلام تحت غطاء الاشمئزاز من السياسة أي من الصراع.
لالسناغرباء على أي أرض عربية.الغرباء هم الذين يشيرون الى غربتنا بأصابع الاتهام
لأنهم غرباء عن تاريخهم وعن معاني وجودهم.غرباء في موجة عابرةلايرى فيها اللِّص غير وجوه اللصوص.
وإذا كنا لا نستطيع مجاملة السلفية فإننا لا نرضى الاستقرار في فوضى التجريبية التي لا تريد أن تقول أكثرمن تجريبيتها.
وإذاكنّا نشكو التقصير من القدرة عى إتقان لغة الناس في العملية الإبداعية
فإن ذلك لا يمنعنا من الإصرار على التعبير عنهم لنصل الى لحظة يُحقّق فيه الأدب عرسه الكبير
حين يصبح الصوت الخاص هو الصوت العام..
نعم،إن للأدب دوراً..وإن انقطاع التفاعل بين النص وبين الذي يتحول النص فيهم الى قو ة:
هو إغتراب الأدب الذي يصفق له الآن المبشرون بالهزيمة النهائية لكلِ شيئ.
وهنا نستصرخ النقد،نستصرخه ليستردّ الإيمان بشجاعته وجدارته، نستصرخه ليُدخل الساحة المُستباحة
نستصرخه ليُرسي المعايير التي أباح غيابها للجهل وللثورة المضّادة أن يتبطّنا في إدعاء الحداثة.
ندعو النقد الى إعادة النظر على سبيل المثال في حركة الشعرالعربي الحديث التي
اتسعت لشن الحروب كلها ووصلت الى مفترق طرق أعلنَ على الأقل وهْمَ وحدتها السابقة.
وندعوه الى تمزيق حصانة النص الشعري الذي لايقبل أداة النظر فيه خارج أدواته،فيما يحمِّل نفسه

بكل ما هو خارج إدعائه من حمولة أيديولوجية يحتكر إخفاءها.ويحرم القارئ والناقد من حقِّ إعلانها.
ولنسأل عن ديكتاتورية النص:
لقد أوصلنا الحياء والخجل الى درجة صارمعها التقدُّم يخشى الاعلان عن نفسه.وأدنى من ذلك
صارت سلامة اللغة تخلُّفاً واستقامة الوزن رجعية.وصار الوضوح عورة.وصار القول ووصول القول همجية.
باختصار:تقدَّمت الرجعية القادرة على الوقوف يساراً بكامل عدة الحداثة الشكلية حافلة بمعاني السلفية.
واستطاعت أن تستدرج الآخرين الى أسئلتها في مرحلة انتكاس المعاني العربية الكبيرة،
وعودة أبناء الطوائف الضالّين الى طوائفهم أو تصوفهم أو رموزهم..
معلنين التوبة عن عمر أضاعته حركات التحرر الي لم تُسفر إلا عن صعوبات لم تكن متوقعة،
وأضاعته الثورة التي دلّت على أنها باهظة التكاليف في مرحلة إجتياح الثقافة النفطية أغلبية المنابر
والمؤسسات الثقافية والإعلامية غير مكترثة بإعلان فارق جوهري بين مستوياتها وأيديولوجية مصادرها،
لأن تدمير الثقافة والمثقفين هو النتيجة الواضحة لظاهرة"رعاية"النفط للثقافة.
هكذا تّتحدد صعوة المعركة التي نخوضها في سؤال الأدب وهي
انعكاس مباشر أو مُحَوَّر لهجوم الرجعية السياسي والفكري التي لاتفتقر الى أسباب الإفادة من
فشل رجعيات التقدُّم وحين نكتب ونستكتب تحت شعار حرية الابداع فإننا لا
نستقطب غير نقاط الضوء والبدايات التي بعثرها الإنقسام حول فكرة أبسط مقوّماتها:
أننا نريد أن نحرّر أنفسنا وبلادنا وعقولنا وأن نعيش عصرنا بجدارة وكبرياء.
ومادمنا نكتب فإننا نعبّر إيماننا بفاعلية الكتابة
من هنا لا نشعر أننا أقلية،لنعلن أننا الأقلية الأغالبية
ونُعلِن أننا قادمون من هذا الزمن ..لامن الماضي..لا من المستقبل).
لماذا أصابهم هذا الكلام بالهيستيريا؟
لأنهم يريدون لنا أن نكون جزيرة محاصرة
سألني"س"للمرة العاشرة:الى أين سنذهب؟
قلت:لاأعرف.إن هناك ضابطاً في غرفة العمليات لتحديد العناوين وأسماء المهاجرين.
قال:ربما ينسونني/قلت:ربما..
خاف،خاف الى درجة نَهَرَ معها إمرأته الثرثارةالتي تعرف كل شيئ وتمتلك جوابا لأي سؤال:إخرسي!!
قالها بانكليزية كردية جعلتها تصمت لمدة عشرين ثانية كاملة،واصلَت بعدها الثرثرة.

إنها راديو مفتوح لا يكترث بالمستمعين إنها أقسى من حصار.
كان يطفئ أسئلة ضياعه في وهم غرابتها.كان يستوطنها قارباً أو ملجأً
كان ينتمي فيها اليها الى ما يسند الغربة بالغربة ريثما يعرف أين هو.
وجدتُ له حلاً:ابق معي/استبشرِ خيراً:أين؟
قلت:هنا في بيروت/صاح:هل أنتَ باق/
قلت:نعم..باق
قال:ولكنني لاأحمل جواز سفر ولابطاقة هوية.
مزورّة كل أوراقي مزورة فكيف أبقى والى أين أذهب؟
قلت:أين تريد أن تذهب:السودان،اليمن،سوريا،الجزائر؟
اختارَ:الجزائر/قلت:سترحل الى الجزائر
قال:هل تعلم أنني لم أسافر مرة واحدة في حياتي؟
قلت:ستسافر كثيرا،يابني،ستسافر كثيرا
في هذا البار الصغير شربنا في السنين الفائتة وفي هذا الحصار شربنا من عصير الشعير مايجعل الحمير تنطق شعراً
بالمناسبة أين المثقفون الغاضبون منّا.لم نسمع أصواتهم منذ بدأ الغزو؟
لقد ذهبوا الى الجنوب
ليقاتلوا الغزاة؟
لقد اشتاقوا الى عائلاتهم وقد يصبح بعضهم شعراءأرض محتلة أو شعراء مقاومة.
ألا يزالون يخافون من هذه العقدة؟ولن يخلصوا منها
إذن،لماذا يحذفون المثال؟
ليكبروا،ليقتلوا الأب ويستقلُّوا
هل تتوقّع تحوُّلا في كتاباتهم؟
لا أتوقع شيئاً
ولكنهم أبرياء وطيبون/وأسرى نموذجين متناقضين
سيكبرون في التجربة/في الطائفية لايكبر أحد
ليسوا طائفيين هم يتامى وخائفون والطائفية موجة حماية عابرة
إذن؟لماذا يستقوون علينا؟
لأننا غرباء ولأن الدولة بدأت عملية تكونُّها
سينتخب الاسرائيليون بشير الجميل رئيساً للدولة.
....
يا سيدة لبنان احفظيه لكلّ لبنان-الدعاء الخافت ينتشر كالخيمة النبوية
كالسقف مرفوعا على أبراج الدبابات الاسرائيلية.
والعادة الاسرائيلية السرية تتحول الى زواج علني.
والاسرائيليون يتمددون على شاطئ جونيه.
وبيغن يلتهم في عيد ميلاده دبابة"مركاباه"مصنوعة من الحلوى ويدعو الى توقيع معاهدة سلام أو تجديد المعاهدة القديمة بين لبنان واسرائيل
ويعاتب أمريكا:لقد أهديناك لبنان..
ما هي هذه المعاهدة القديمة المرشحة للتجديد؟
إن بيغن لا يعيش في زماننا ولايتكلم لغتنا.إنه شَبَحٌ

قادم من عهد الملك سليمان وهو العهد الذهبي في التاريخ اليهودي العابر على أرض فلسطين،
حيث جعل النقد عادياً في أورشليمِ كالحجارة
وبنى الهيكل الباذخ على هضبة وزيّنه بخشب الأرز والصندل والفضة والذهب والحجارة المنحوتة،
وصنع العرش الملكي من العاج المطلي بالذهب.
وأبرم معاهدة مع حيرام ملك صور أمدّه بالمعادن والعمّال الاختصاصيين،
واصطاد معه السمك في البحر الأبيض المتوسط.
سليمان يبني المراكب وحيران يقدم له الملاحين.
سليمان يبني الهيكل ويحكم بعدما دان له المُلك،وتعلّم شعبه من الفلسطينيين
صهر المعادن وصكِّ الأسلحة وتعلّم طرق الزراعة وبناء البيوت والقراءة والكتابة من الكنعانيين".
بيغن يتقمّص سليمان.يتخلّى عن مزايا سليمان عن حكمته عن أناشديده ومصادره الثقافية
ولايأخذمنه غير العصر الذهبي المرفوع على دبابة.
لايتعلّم منه عبرة سقوط المملكة حيث ازداد الفقراء فقراً وازداد الأغنياءغنى..
لايعنيه منه غير البحث عن ملك صور لتوقيع معاهدة سلام.أين ملِك صور؟
أين ملك الأشرفية؟بيغن يُجمِّد التاريخ عند هذه اللحظة ولايصل الى نهاية الهيكل
الذي لم يبق منه سوى حائط للدموع،حائط لا يدُّل علم التنقيب عن الآثار عن أنه أحد أبنية سليمان.
ولكن ما لنا ولتاريخ ما خرج من التاريخ؟فكل شيئ بقي على حاله في وعي ملك الخرافة..
ومنذ ذلك الوقت لم يفعل التاريخ شيئا في فلسطين وعلى شواطئ البحر المتوسط
الشرقية غير انتظار ملك الخرافة الجديد:
مناحيم بن سارة بن بيغن الذي سيحمي الهيكل الثالث من الغضب الداخلي ومن الغضب الخارجي
بالتحالُف مع ملك الأشرفية بشير بن بيير بن جميل..

فدائيون من حَبَقٍ ومن حريّة
ومنذورون للجمرة
علىِ قرميد أغنية
وشَهوْة شارعٍ صاعد
على أسطورة حُرّة
هي الثورة
هي الثورة....
خنادقهم هواء البحر
وظلّهم يشقُّ الصخر

نشيد نشيدهم واحد:
فإما النصر
وإما النصر
ومنهم تولد الفكرة
هي الثورة
هي الثورة...
وُلِدنا فوق أيديهم
كما تتفتّح الزهرة
فكم مرة
وكم مرة
سيولد في ابنه الوالد؟
وتحمل غابة بذرة
هي الثورة..
هي الثورة..
....
وفي ساعات العصر هذه تتدلّى السماءأكثر مُثقلة بالرطوبة والدخان والحديد
سماء تصير الى يابسة.
ولاتستطيع المباريات الاذاعية على صوت فيروز الأثر الوحيدعلى وطن مشترك
أن تشير الى شيئ والى مشترك لأن الصوت انفصل تماماً عن مصدره
رحل عن أرضه الى تجريد أزرق لايخاطب العاطفة في وقت تحوّل الحرب فيه كل شيئ الى تفاصيل.
"أحبك يا لبنان "إعلان لاتُصفِّق له بيروت المشغولة بشوارعها المقصوفة، المكثفة في ثلاثة شوارع.وبيروت لاتُبدِع غنائها،
فذئاب الحديد المتوحشة تنبح من كل ناحية والجَمالُ المُغنّى له المعبود ينتقل الى ذاكرة تشتبك الساعة فيها بأنياب النسيان الفولاذية،
الذاكرة لا تتذكربل تستقبل ما ينهال عليها من تاريخ.
أهكذا يصير الجمال السابق الجمال المستعاد في غناء لايناسب مقام الساعة جمالاًمأسوياً؟
وطن ينهار ويرمّم في حوار الإرادة البشرية والحديد،
وطن يرتفع على حنجرة تطل علينا من السماء،
حنجرة وحيدة توحِّد ما لايتوحّد وتؤلف مالايتآلف.
هرب الكلام الى البعيد.أخذ الكلام كلماته وطار.
فليس هذا الصوت صوت عذابنا ليس صوت الجنون
وفي ساعات العصر هذه يعجز البدن عن حمل أعضائه وتعجز الروح عن الطيران،
تتكوم فوق مقاعد الخوف واللامبالاة عاجزة عن الكلام.
ونحن نجلس عاجزين حتى عن تبادل النظرات.
آب بيروت لاتنقصه نار جديدة

خلفنا مدرسة تحولّت الى مستشفى،تحوم الطائرات بكثافة حول المستشفى.
قال أستاذ العلوم السياسية القادم من الولايات المتحدة:سنصاب حتماً،فلنهبِط الى الطابق الأول.
كان من الصعب إيقاظ"غ"فهي نائمة منذ شهر،ظننت أنها مريضة في الكبد.
ولكنهم قالوا إن الخوف الشديد يدفع الخائفين الى النوم العميق،النوم المتواصل،
إنها تنام وهي نائمة تصحو وهي نائمة تمشي وهي نائمة وتأكل وهي نائمة.
غبطناها على نظام الوقاية الذاتي.
ولم يكن الطابق الأول أكثر أمانا من الطابق السادس فلو قُصِفَت البناية لبقينا تحت الأنقاض.
تزايدت وتيرة الطائرات وازداد انخفاضها.
قلت لأستاذ العلوم السياسية لكي نخرج مما نحن فيه:أظن يادكتور ان الجدل حول الجامعة المفتوحة قد انتهى الآن.
قال:وانتهت مرحلة كاملة من مراحل العمل الفلسطيني واللبناني الوطني وأوشكت تجربة المجتمع الفلسطيني في لبنان على الانتهاء.
قلت:ومن أين تبدأ المرحلة الجديدة؟
قال حاسماً:ليس من الصفر كما قد يُقال،ليس من البياض بل من التراكم، لقدأنجزنا الكثير وعلينا أن نواصل تطوير ماهو صالح للتطوير،
لم يعد في مقدورنا تركيب جملة كاملة ،وكان علينا أن نُعيد تركيب عناصر تجربة تتعرض للانهيار.
لم يكن الرجل موحِشاً كان يعتني بأصوله القديمة ويفاخر بجذور تعرضّت للاقتلاع منذ أربعين عاماً.
يأتي من شيكاغو كل عام ليتدفأ بانبعاث شعبه.
وقد ملّ الغربة الطويلة في كلية العلوم السياسية هناك،
وسكنه هاجس إنشاء جامعة مفتوحة للطلبة الفلسطينيين في الشرق الأوسط يكون مقرها لبنان.
أن تطعن في جدوى الفكرة وقابليتها للتطبيق معناه أن تعتدي على أغلى أحلامه،
فيتحول الى كتلة من الأعصاب للدفاع عن مشروعه.
كان المستوى التعليمي ينخفض في الجامعات.ولم يتورّع بعض الطلبة عن تهديد الأساتذة بالسلاح للحصول على علامات أفضل.
كانوا يدخلون قاعات الامتحان مدججين بالمسدسات.
كم من شكوى تلقيناها دون أن يتمكن أحد من معالجة المشكلة بسبب اختلاط الهوية التنظيمية.
وقبل ذلك كان الخناق يضيق حول الطلبة الذين لم يجدوا جامعات عربية لاستيعابهم
وكنت أمازح الدكتور:أفي مثل هذا المناخ الذي نعجز فيه عن ضبط شروط الامتحان تؤسِّس
جامعة مفتوحة تحتاج الى استقرار اجتماعي ومستوى تربوي آخر؟؟

ولكن الدكتور كان شديد الايمان بنجاح الفكرة وبالأداة .كان ينظر الى واقعنا من بعيد.
ومن بعيد تُخفي الظواهر تفاصيلها وتُقدِّم السطوع .
ماهو مشروعك الآن؟سأعود الى شيكاغو.
والجامعة المفتوحة؟أغلِقت...
دخل علينا الأمريكي الذي يظهر حين ينبغي له أن يختفي،الأمريكي السعيد بما يرى .
الشاهد على ما يتوافرلسواه من نعمة التجربة.حرب وحصار،
أهنالك ما هو أكثر إثارة لأمريكي يلهث وراء أية مأساة بكاميرا ودفتر وزوجة في هذا الموت؟
سميته"الكوسمان"لأنه عاشق القضايا الساخنة.ولم أطمئن الى ما يبدي من افتتان بحرب تمدُّه بثروة اعلامية.
كان علينا أن نموت أكثر ليعمل أكثر ولينتشي بمعايشة الضحايا.جاء من نيويورك خصيصا ليتفرّج علينا.
لم يكن صحافيا محترفا يركض وراء الخبر لخدمة المهنة.كان هاويا يصور المآسي بعدسة كاميرا تلفزيونية وعلى أشرطة تسجيل.
ماهو شعورك؟عكس شعورك
ماذا تقصد؟
ماذا لاتقصد؟
هل ستعترفون باسرائيل؟
لا..
كان الدكنور قد استدعي الى القيادة ليشارك في صياغة عبارات قانونية غامضة تداور
حول السؤال الذي كان يشارك في القصف..عبارات غامضة حول قرارات مجلس الأمن.
كانت الضحية مطالَبة بالاعتراف بحقِّ قاتلها في قتلها.
كان المطمورون تحت الأنقاض مطالَبين بإعلان شرعية قاتلهم.
لم تكن الفرصة مواتية لمثل هذا الاغتصاب السياسي،بقدر ماكانت السادية أسرابا من الطائرات.
لأول مرة يُطالَب غيابنا بالحضور الكامل:
الحضور من أجل تغييب الذات
من أجل الاعتذار عن فكر الحرية
من أجل القول إن غيابنا حق من أجل تزويد حق الآخر بحق تقرير مصيرنا.
الآخر الحاضر في كامل أجهزة القتل يطالبنا بالحضور قليلامن أجل إعلان حقِّه في دفعنا الى الغياب النهائي..
لماذا نُطالَب الآن بالاعتراف؟
من أجل سلامتكم ومن أجل سلامة العالم.
الغريق لايحرص على جريان النهر
المحترق لا يحرص على بقاء النار مشتعلة
والمشنوق لايحرص على متانة حبل المشنقة...........

كنت أحمل عنقود عنب وجريدتين حين انقضّ علي حرف"الهاء"الخائف أبداً
في السلم والحرب ،الخائف من أي شيئ:
من ليلة بلا عاشق من عام بالكتاب جديد من بيت بلا بيانو
من شهر بلا نقود من طريق بلاغزل
انقضّ علي كما تنقضُّ التهم6 على لص:متى تخرجون...متى ؟
لقد دمرتم بيروت بهذا العبث البطولي.
قلت:تعنين البطولة العبثية
قالت:لافرق،أمازلتم تصدقون؟
قلت:نصدِّق ماذا؟
قالت:أي شيئ.أخرجوا ...أخرجوا كي تعود المياه الى أنابيب البيوت.
هي دائماَ هكذا:عصبية شقية ذكية غبية وجذابة كعصفور الدوري.
نقدِّس الماء والعطر.وهي الأولى لكل عاشق من فرط رهافتها ودعتها المتجدِّدة.
عذراء البدايات من عشرين عاماَ،وتُربّي تموجات بطنها لإغراء أسراب الحمام.
تندفع وتتراجع،تلعق بلسانها قدم العاشق،تغسل جواربه وقفاه،تحلق له ذقنه
تقدم له النهار على طبق من كستناء وتقدم له الليل على سرير من فُلّ.
وسرعان ما تسخر من اندفاعها وأوهامها:أخطأت.
إنه لايساوي شيئاً.كنا نداعبها أنا وأهلها،ونُسمي طباع خيبتها جورج.
هل تذكرين جورج؟فتقفز من وجهها الطفولي لتَعضّنا واحدا واحداً.
نحن نواصل الضحك وهي تواصل كسر الأطباق.
أحببتُ مروحة عواطفها وبراءة الشيطان فيها.وخوفها من الطائرات حين تجعلها تقفز
كجندب فوقث الأثاث وتصرخ:بس ...بس .
أبوها يبكي على أي انسان يموت في أي مكان.
أمهاتصلّي لسيدة لبنان ليحمي بطلها لكلِّ لبنان.
وأختها تعد الطعام لولد لايشبع،
وننتظر خط الهاتف للاطمئنان على الشاتب الفرنسي.وأنا
أواصل الاعتذار عن وجودنا في بيروت.
متى تخرجون؟
حين يوقفون القصف،ويصبح طريق الميناء آمناً .
إهدئي يا"ه"فلسنا نحن الذين نملك هذه الطائرات.
الى متى تمضون في شيئ لايوصل الى أي شيئ؟
خذي عنقود العنب وابحثي في الجريدة عمّن مات.
إنهم يقصفون حتى بيوت العجزة،ويقصفون الشهداء ليعيدوا انتاج موتنا.
هل ستذهبون وتتركون لنا شهدائكم؟
إذا استطعت أن تعيد إليّ ما في دمك من دمي فسنأخذ معنا شهداءنا الى البحر.
لاأقصد لاأقصد أن أجرحكم
وسنأخذ معنا دخّان المرايا

وأحلام منتصف الصيف
وأغاني فيروز عن بيسان
لاأقصد لاأقصد أن أجرحكم
وسنأخذ معنا خبز الكلام
لاأقصد أن أجرحكم
وسنأخذ معنا دخان القلوب المحترقة
لاأقصد أن أجرحكم
وسنأخذ معنا الصمت الذي يسبق غايات القصائد
لاأقصد أن...
وسنأخذ معنا آثار المطر المتجعِّد على خطى حاولت أن تُسمّي الوقت.
لاأقصد أن أجرحكم
وسنأخذ معنا ما استطعنا أن نراه من هذا البحر،وسنأخذه معناالى البحر.
لاأقصد أن..
وسنأخذ معنا رائحة القهوة وغبار الحبق المعزول وهاجس الحبر.
لاأقصد أن أجرحكم.
وسنأخذ معنا ظلال الطائرات وصوت المدافع في أكياس مثقوبة...
لاأقصد أن أجرحكم..
وسنأخذ معنا ما خفّ حِمْله من الذكريات،وعناوين أسطورة ومطالع الصلاة.
لاأقصد أن أجرحكم.
ولن نأخذ معا شيئا لن نأخذ معنا شيئاً
لاأقصد أن أجرحكم.
لن نأخذ معنا شيئا.
خذي سريري ومكتبتي وحبوب نومي خذي غيابي كله
خذي غيابي عن المقعد الجالس خلف الباب،خذي الغياب...

هل بكيت؟لقد نزفت الملح السائل.ملح السردين الذي كان غذائي الوحيد منذ أيام.
ولم يعد في مقدور الطائرات أن تخيفني ولم يعد في مقدور البطولة أن تطربني.
لاأحب أحداً وولا أكره أحداً ولاأريد أحداً ولاأحس بأحد
لا ماضي ولا مستقبل لا جذور ولا فروع.
وحيد كتلك الشجرة المهجورة في العاصفة الكبرى على سهل مفتوح.
ولم يعد في وسعي أن أخجل من دمعة أمي
ولا أرتعش من تقاطع حلمين وُلِدا في لحظة واحدة عند الفجر....
لتكن بيروت ماشاءت،فهذا دمنا العالي لها
شجرٌ لا ينحني.يا ليتني ..ياليتني
أعرف الساعة من أين يطير القلب كي أرمي لها
طائرَ القلب لكي ينقذني من بدني
لم أمُت بعد،ولا أعرف هل أكبر يوما واحداً
كي أرى ما لايُرى من مُدُني

لتكن بيروت ماشاءت،فهذا دمُنا العالي لها
حائط يُبعدني عن شجني
ولنا البحر إذا شاءت،وإذا شاءت فلا
بحر في البحر.هنا أسكن فيها رايةً من كفني
وهنا أخرج مما ليس لي
وهنا أدخل في روحي لكي يبدأ منّي زمني
ولتكن بيروت ما شاءت.ستنساني لأنساها
أأنسى؟ليتني..يا ليتني!!
أستطيع الآن أن أرجع مني وطني
ليتني أعرف مذا أشتهي.
يا ليتني!!
ليتني.
....
غروب للغروب تندفع كُتل الغيوم السوداء المعبأة بالبارود نحو حافة البحر.
تحمل الطيور تعبها وتُحوّم باحثة عن بقعة آمنة لا تطالها أجنحة الطائرات.
غروب يدلنا على مافينا من تعب.
ينهال علينا الظلام والفحم والقنابل ليشتاق الجسد الى جسد يضيئ
شوقا لا لهفة فيه ولا موت
شوقاً معدنيا آليا لا تخترقه عصافير سرية ولا نغم بعيد،
شوقاً مقطوعا من شجرة الطارئ كما يشتاق الوقت الميت الى حبّة
فستق مالحة أو الى صوت صادر من راديو...
الى أين أذهب في هذا الغروب؟
لقد سئمت الدرج.سئمت تلك الثرثرة هناك.
وهناك شرفة الشاعر الذي رأى سقوط كل شيئ،فاختار موعد نهاتيته.
أمسك خليل حاوي بندقية اليد واصطاد نفسه،لا ليشهد على شيئ،
بل لكي لا يشهد شيئا ولا يشهد على شيئ.
لقد سئم هذا الحضيض،سئم الأطلال على هاوية لا قاع لها.
وما الشعر؟الشعر أن يكتب هذا الصمت الكوني النهائي الكلي
كان وحيدا بلا فكرة ولا امرأة ولا قصيدة ولا وعد
ماذا بعد وقوع بيروت في الحصار؟أيُّ أُفق،
أي نشيد.لعبتُ معه"طاولة الزهر"منذ أكثر من شهر لم يقل لي شيئاً.
جلسنا ولعبنا لعبة لاذكاء فيها ولاومناورة،الحظ هو الذي يلعب
وعلى الحظ أن يطيع خليل حاوي وإلا غضب على الحظ وعلى شريك
اللعب
كان يعنيه كثيراً أن ينتصر عكس الشاعر"أ"الذي ينتصر ويبتسم وينهزم
ويبتسم،
لأن ما يعنيه وما يراهن عليه يقع خارج هذا اللعب.
لذلك يفتقر اللعب معه الى شيئ من الحماسة عكس خليل حاوي
المتحمِّس المتوتِّر
اللاعب الطاعن في الهجاء.لاأريد أن أطلَّ على شرفته.لاأريد أن أرى ما
فعله نيابة عني.

لقدخطرت الفكرة إيّاها على بالي وتراجعَت
وقريبا من هذه الشرفة بعد أربعة شوارع تحت، سقط شاعرٍ آخر منذ قليل
شاعر سمّى نفسه الذئب و الغجري وسيّد الرصيف،كان يوزّع هويته
الشعرية"الرصيف"
عندما أصيب بقذيفة،كان عدو المؤسسة أية مؤسسة.
وكان يُنشِئ مؤسسة الرصيف كان ينشئ مؤسسته
ولكن منافسه على الرصيف خصمه العنيد"ر"يقول باعتزاز:
أنا قتلت علي فودة ،كيف قتلته سألناه.؟
قال في هدوء عقلاني:سلّطت عليه كراهيتي.كراهيتي هي التي قادت
القذيفة الى بطنه
أنا الذي قتلته،ألست نادماً؟سألناه
قال:لاإنني أكرهه حيا أو ميتا وأستحقُّ التهنئة.
....
الى أين أذهب في هذا الغروب؟قادتني خُطاي في ضوء الطائرات والقذائف
الى منزِل"ب."
يبدو لِمَن لا يعرف"ب"أنه يقود هذه الحرب كلها،من الجبهة العسكرية الى
المفاوضات الى الاعلام.
حيوي.فتيّ،شقي.وجد في هذه الحرب لعبته الضائعة.
إحدى يديه على الهاتف يصرّح بما يعرف وبما لايعرف.
ويده الأخرى تكتب الأوامر والتعليمات والتوصيات.
ينظِّم عشرين موعداً في الساعة ولا يتعب.
خليَّة نحل في رجُلٍ كرّسته الأقدار للطنين .
صديق بلا شروط،مرح،ذكي،معطاء،
وفي منزله صنم لا يتكلم،صنم يُهتَف له ويُسجَد له.
كلما صمت أكثر أثارت حكمة صمته عاصفة من التصفيق.
وفي منزله صديق اسمه"أ"قادر على تصوّر شكل العالم بعد نصف قرن من
الزمان.
أفكاره المبنية على منطق شكلي سينمائية الإثارة .
يتكلم عن الدول الكبرى والصغرى كما يتكلم عن شوارع بيروت،بلا كلفة
وبلاتردُّد.
وإذا صدقت آماله فهذا يعني أن هذا الشرق سيُحاصر بعد قليل بين نوعين
من كهنة الظلام.
أوافق على هذا الاحتمال باعتباره حدّاً أقصى لتطور التدهور،باعتباره أحد
أشكال الكارثة القادمة.
ونختلف الى مالا نهاية حين يرى أن ذلك هو طوق النجاة الوحيد،
وأن في وسع ظلام أن ينتصر على ظلام.ويكون الفجر لنا.
وأنا لاأصدِّق ولاأريد أن أصدق أن تاريخ الشرق سيكرر نفسه بطريقة
ميكانيكية أو حتى إبداعية،
مهما انفصلت شعارات السياسة الحديثة عن مبادئها،ومهما تخلّص
الخطاب من مضمونه،
فلن أتوقع تغيير العربر وتطوير العرب من غير العرب.

ولاأرى ذلك النموذج المُعَد لإغراء اليائسين من العصر بالايمان قد يَعِدُنا بما هو دون
العودة الى الصراع على أسئلةلم تعد أسئلتنا.
مالي وأخطاء عثمان بن عفان؟إذ ليس هذا التاريخ وحده تاريخي..
يصرّ"أ"و"ب"أننا لن نخرج،لالأنهما يفتقران الى المعلومات وخبايا المفاوضات،
بل لأن فكرة الخروجِ من بيروت تشبه فكرة الخروج من الجنة أو من الوطن.
كان يصعب على مَن شارك في صياغة التجربة وشهد نمو بدايتها المرافق لنموه الشخصي
أن يلقى نفسه خارجها وهو يلامس نهاية بدت له صاعقة.
لم يكن أحَد قد أعدّ نفسه ولو في الخيال لمثل هذه الفرضية.
لنفترض أن موازين القوى أخرجتنا من هذا المكان
فماذا أعددنا للرد على الاحتمال؟ماذا أعددنا لما هو أسوأ؟
ماذا أعددنا من بدائل لهذا التركز المؤسساتي الكثيف؟
هل أصابنا نوع من القدرية ومحالفة الحظ؟ألم ننجُ أكثر من مرّة،
الى متى نعتمد على النجاة؟.
و"م"صامت بعيد عنّا وبعيد عن السحالي.
منكفئ،يرى البحر،يرانا في البحرِ كأنه خارج للتو من كابوس.
لايراه أحد وهو يدثر بالصمت ويردُّ عنا أمواج البحر المتلاطمة في الغرفة.
هل ترى ما لانرى يا"ميم"؟يرد:وهل ترى ما لا أرى يا "ميم."
خفت:هل رايت حلمي.لم تكن أنت في منامي.
قال:لم أكن في منامك،ولكن هل ترى ما لا أرى؟
هدأت أصواتهم ليتأكدوا من أننا أصبنا بالجنون..
أخذني الى الشرفة:هل شقتُك"منزلك" آمنة؟سألت:ماذا تعني؟
قال:هل تصلح لنوم القائد.هل جيرانك معنا أم ضدنا؟
قلت:البحر ضدنا.قال:هل تعني أنك تخشى على سفينته؟
قلت:أعني أن واجهة شقتي زجاجية ومفتوحة على قذائف البحر.
قال:لا تصلح.ومن الفضل أن ينام الليلة أيضا في كراج للسيارات أو على الطريق.
هبّت رياح الجنة،لقد استعدّ لكل شيئ وأبطل توقيعه.
لم يبق على المسرح احتمال لدخول شخصيات جديدة.
ووقف وجهاً لوجه أمام القضاء والقدر.هل كانت التراجيديا إغريقية أم شكسبيرية؟
لقد زُجّ بكل عناصر الدراما في المشهد الطويل.
فهل يضحي بالطفلة الرهينة بيروت أم يخرج الى ما لايعرف؟
هل يموت هنا في انفجار عظيم لِتُشهر الفكرة نبوّتها،أم ينقذ هذا البناء على السفن؟
لم يبقِ هنا شيئ يُحرّك ما هو خارج البحر والسور.
وانفضّ العالم من حول المشهد.وحيد...وحيدالى مالا نهاية.
هل كان وحيدا منذ البداية دون أن يدري.
هل جاء متأخرا أم جاء مبكرا هذا الحامل عود الثقاب في حقول البترول؟
وحيد كمقطع في نشيد لا مطلع له ولا ختام،وحيد كصرخة القلب في

برية..
بعض الجمعيات الدولية تَعدُّ لنا الخيام لمواجهة الشتاء القادم،فنحن مازلنا في وعيهم لا جئين يستدرون العطف ويخافون الشتاء.
وامريكا تحتاج الينا قليلا،تحتاج إلينا لنعترف بشرعية ذبحنا،تحتاج إلينا لننتحر لها،أمامها،من أجلها،
والقبائل العربية تقدم لنا الدعاء الصامت بدلاً من السيوف.وبعض العواصم تُمجِّد بطولاته فينا وينكر دمنا،
فلا اسم لمَن يقاتل حول المطار!!وبعض العواصم تعد لنا خطاب الوداع الجنائزي..
هبّت رياح الجنة.فهل سيقول الحقيقة.هل سيقول الحقيقة؟لن يقول..
سألت"م":أي بحر سنسلك؟قال:البحر الأبيض،ثم البحر الأحمر.
قلت:لماذا أنت بعيد.هل كنت في منامي أمس؟
قال:لاأعرف،أي منام؟
قلت:كنا هنا.الغرفة ذاتها الكلام نفسه.الصنم إيّاه والغارات هي الغارات.
دخل حارس البناية يبلغنا أن شخصاً غريباً يدّعي أنه صديق جاء لزيارتنا.
فوضع كل رجل يده على مسدسه لاستقبال ما قد يسفر عنه الباب من غموض.
وخبّأنا الصنم في الحمّام.ولكن الزائر عز الدين قلق بتوتره الضاحك.
سألناه:كيف وصلت؟قال:كما وصلتم أنتم.لم يتغيّر فيه شيئ.
بعيد وأليف.ولكنه كان ينظر إليك بريبة مَن يقابل غريباً لا يعرفه.
قلنا له:اطمئن يا عز:فإن"ميم"في غرفة العمليات.
كنا نتكلم معه بلا دهشة كأنه مسافر عادي قادم من باريس
كان يواصل حضوره بيننا ويشاركنا عملية الانسلاخ الجماعي الكبير عن هذا المكان.
نسينا أنه غادرنا الى الأبد منذ عشر سنين،وأن الموتى لايزورون الأحياء إلا لإثارة التآويل.
ولكن عز الدين بيننا بلا جلبة وبلا فزع.
سألته عن أحواله هناك في الآخرة.قال إنها عادية ولاجديد تحت الشمس.
قلت:هل هناك شمس؟قال:نعم.
سألته عن المناخ فقال إنه حار ورطب لأن المناخ في آب حار ورطب.
سألته عمّا إذا كانوا هناك يعرفون أخبارنا ومايحدث في هذا الحصار؟
فقال إنهم يتابعون الأخبار ساعة بساعة على شاشة التلفاز.
ويتألمون من الغيظ لعجزهم عن تقديم أي عون لنا.
سألته عمّن وصل إليهم منّا لعلّهم قدموا لهم شهادة حيّة عما يجري.
قال:لم يصل إلينا أحد.
قلت:وقد نسفوا مقبرة الشهداء فهل نجا أحد من الشهداء وجاء إليكم؟
قال:لم نقابل أحداً منهم،وسألته أين تقيم؟في الجنة أم في النار؟
قال مستغرباً:ماذا تعني؟قلت:من أين جئت:من الجنة أم من جهنم؟
قال:جئت من هناك...من الآخرة.
حدّقتُ اليه ملياً لأتأكد من آثار عنوانه على جسده فوجدته طبيعيا وعاديا،كما غادرنا

لاآثار للجحيم ولا علامات للنعيم.أهذا كل شيئ يا عز الدين..أهذا كل شيئ؟..
هل تزوجت؟قال لم أجدها بعد.مَن لا حظّ له في الدنيا لا نصيب له في الآخرة.
سألت:وكيف تقضي وقتك هناك؟
قال:كالمعتاد..من المكتب الى غرفتي في الحي الجامعي ومن قاعات المحاضرات الى بيوت الطلبة.
وأتذكرك حين أسافر في القطار من باريس واقفاً
وحين أطل على منزل بيكاسو وعنزته الشهيرة
وحين أدخل المطعم ذا الجدران الممتلئة بجميع أشكال الخبز،
وأتذكر الطلبة التونسيين الذين صاحوا بنا في عيد الثورة:
سُحقاً سحقاً بالأقدام لدعاة الاستسلام،فرددنا عليهم:
سحقاً سحقاً بالأقدام لدعاة الاستسلام.
التفتنا الى "ب"فلم نجده..كان مشغولا بحماية الصنم من القصف..
قلنا لعز:أما زلنا قبل التكوّن في حاجة الى الأوهام لنتكوّن؟
قال:يبدو ذلك
قلت:ومازلنا في مرحلة التكون في حاجة الى أصنام يعبدها بحثنا عن المثال؟
قال:يبدو ذلك..
قلت:ومازلنا في مرحلة سباق الدم مع الفكرةوسباق الفكرة مع الإطار في حاجة الى حبر فاسد والى أدب مبتذل لنقول إننا مؤهلون؟
قال:يبدو ذلك
قلت:إذا كالن الجواب عن ذلك هو يبدو ذلك،فلماذا نخرج من بيروت الى الفضيحة..ودواليك؟
قال:لاأعرف/قلت:كيف تفكرون هناك؟/قال:مثلكم كما تفكرون هنا.
قلت:يا عز الدين ماذا تفعل هنا،ألم تُقتَل؟ألم أكتب فيك رثاء.ألم نمشي في جنازتك في دمشق،
هل أنت حي أم ميت؟
قال:مثلكم!!
قلت:ياعز الدين،لنفترض أنني قلت أننا أحياء،فهل أنت ميت؟
قال مثلكم
قلت:يا عز الدين لنفترض أنني قلت إننا موتى،فهل أنت حي؟
قال:مثلكم
صحيح يا عز الدين ماذا تريد مني؟
قال:لاشيئ/قلت:إذن دعني وشأني
قال:آن لي أن أذهب؟/قلت:الى أين؟
قال:من حيث جئت
قلت:ابقى معنا قليلا...سنخرج معاً
قال:انتهت جنازتي،وعليّ أن أعود
قلت:من أين جئت/قال:لاأعرف..
صافحنا واحداً واحداً ولكنه خصّك يا"م"بنظرةخاصة سحبتك منّا قليلاً.

عانقناه على الباب...حيث تلاشى كخاطرة شاردة.نظرت الى الدرج فلم أجده.
نظرت الى الشارع فلم أجده.اختلط بأمطار القذائف.
لم أجده في أي مكان.نظرت الى شظايا الصواريخ فلم أجد أحداً.لم أجد أحداً...عزالدين اختفى.
قلت:لهم:هل كان مضطراً للعودة؟
قالوا:مَن هو الذي كان مضطراً للعودة./قلت :عزالدين
قالوا باستهجان:من هو عز الدين؟
صرخت:الرجل الذي كان معنا هنا الآن،ومازالت خطوته تدقُّ الدرَج
نظروا إلي كما ينظرون الى ممسوس.
أشرت الى مقعده المسكون بطيفه:هنا..هنا..كنتم تتحدثون اليه.كنتم تعانقونه.
لم يصدقوني.قدموا لي كاساً من الماء وفنجان قهوة..
هل يحلم المرء وهو جالس مع الآخرين؟
هل يحلم المرء وهو يحاور؟

البجر يقترب منّا.الخريف يقترب من البحر.
آب يسلّمنا الى الخريف.فالى أين يأخذنا البحر؟
القصة إيّاها لا أكتبها ولا أنساها.غصّة الكتابة وحرمانها الأبدي.
قصة الرجل الذي جلس سبعاً وعشرين عاما فوق صخرة على شاطئ صور.
أمَا آن لِها أن تعتقني؟أما آن لها أن تأخذني معها الى البحر.
ولكن مَن يفكِّر بالكتابة في هذا اليوم.سأنسخها مرة أخرى لأتدرّب على الكتابة.
سأنسخها لأجد طريقي الى البحر.
تعبتُ من كثرة ما سألتُ هاني:كيف نسمّي الرجل الذي نسينا اسمه!
ومتى تأخذني الى الصخرة التي هبط منها كمال الى البحر؟
تساءل هاني مَن هو كمال؟
قلت:هو الرجل الذي أسألك عن إسمه منذ ثلاث سنوات،
الرجل الذي كان جالسا فوق صخرة على شاطئ صور في انتظار حمامة تظهر
من الجنوب الغربي حين تكون الرؤية واضحة وحين يكون البحر عاقلاً.
ولم يكن يعرف شيئا لاشيئ غير تلك الحمامة التي لايعرفها أحد.كانت سرّه الباقي.
وحين كان أصدقاؤه في المخيم يجتازون الحدود ويعودون أو يموتون لم يكترث
هو بأخبارهم أوبطولاتهم.
كان يجلس على الصخرة في انتظار الوقت المناسب الذي سيأخذه على البحر الى الحمامة.
ولم يكن بإمكان الطائرات المغيرة أو جنازات الشهداء أن تسلخه عن الصخرة.

كان الضباب والغروب وحدهما يعيدان كمال الى العائلة.
سألت هاني:هل تعيش حمامة سبعاً وعشرين سنة؟
قال:إن كمال يعتقد أنها تعيش من الأزل الى الأبد.
سألت:ولماذا لا يصطادها.
قال:لأنها لا تطير،ولأنه لا يستطيع الوصول الى بُرجها.
وأخيراً وضع يديه على الطاولة وفتحهما لسكب السر دفعةً واحدة:لماذا أتعِبك وأتعب صدري؟
فالمسألة لاتحتاج الى كل هذه الأسئلة:
الحمامة هي حيفا...
..لأن جبل الكرمل المنبثق عن صعود البحر الى السماء وعن هبوط السماء الى البحر،يرسم معجزة:
أعني عنقاً مُطوّقة بقبلةٍ مجبولة من حجر وشجر،أعني حيفا،تتقدّمُها شهوة حارة في شكل منقار ملّون
يشهد على أنّ في مقدور موجة جامحة أن تتحجّر من الأزل الى الأبد.
لأن الامر كذلك فإن حيفا تشبه الحمامة.وكل حمامة تشبه حيفا.
ولكن ما لايدركه كمال هو أن المدينة تطير ..تطير في دمه.
وكمال ينطوي على سرّه.يلتف بذكريات صارت أحلاماً يتعبّد ،
يزيح عن نفسه زمناً لا يستهويه فلا يعترف به.
كلُّ ما يجري في هذا الزمن هو همٌّ الآخرين أو صغائرهم.
اندلعت حروب أربع دون أن تعنيه أو تكون حروبه،طالما لم تأخذه شظية واحدة من شظاياها الى..الحمامة.
أعطني مزيدا من التفاصيل عن كمال يا هاني.هل عرفته شخصياً،هل رأيتَه في صور؟
يتردّد هاني فيِ الإجابة فأعرف أنه لا يعرف ولكنه يقول:
لا يعرف البحر من يراقب البحر.لايعرف البحر من يجلس على الشاطئ.
ولايعرف البحر إلا مَن يغوص.يجازف.وينسى البحر في البحر.
يتلاشى في المجهول كما يتلاشى في إمرأة الحب.لا فاصل بين الزرقة والماء.
هناك تعثر على عالم لاتقبض عليه الكلمات.لايُرى لا يُلمَس إلافي أعماق البحر..البحر هو البحر..
لا أحبُّ شعرك ياهاني ،حدِّثني عن كمال،لا تحدثني عن نفسك!
لا يستطيع منذ ثلاث سنين وهو يروي قصته مع بحر صور،ولاشيئ عن كمال،لاشيئ عدا العنوان.
قُل لي ما هي سيرة كمال؟
قلت لك إنه يسمّي حيفا حمامة.وهوأيضاً صيّاد سمك يصطاد في الليل وفي النهار يتطلّع الى الحمامة.
لايستطيع أحد ملاحقة موجة غرقت في البحر.
حين يخرج العاشق السيئ من تجربة الحب الأول ومن محاولة الانتحار الأولى
يصعب عليه وعلى قاضي المحكمة التوصل الى إثبات البراءة أو نفيها
فيدخل في السجن الأول ويخرج الى طريق آخر.

لأن العاشق السيئ الحظ يؤثِر العقوبة على الاعتراف المثير للسخرية.
ماذا لو قلت:حين قطعت الشارع هناك لم أكن أحمل قنبلة ولم أنتبه الى لافتة"منطقة مغلقة"؟؟
كنت أحمل أشواك القلب لأرميها في البحر لأن حبيبتي كانت تُزَفُّ في تلك الليلة.
وماذا لو قالت أيضاً:سيدي القاضي كنت أريد الانتحار في المجهول المائي الذي لا ينذر بالوجع.
ولكن القمر أطلَّ قويا فرأيت الحجارة المدبّبة تحت سطح الماء الصافي فخفتُ الموت وعدت،
لأنه سيكون موتاًمؤلماً،موتاً صخرياً واضحاً جارحاً.فتبّاً للذين عينوا موعد الزفاف في ليلة مُقمرة!!
ولكن لو قلتُ ماكان ينبغي عليّ أن أقول لأنجو من السجن،
فهل كان القاضي سيقبل المسألة على هذا النحو.هل يصدق؟
هل يُصدِّق أني إجتزت هذا الطريق لأنتحر من أجل فتاة لا من أجل بلاد؟
وهكذا دلّني القاضي على أن للبحر طريق آخر،أو أن في البحر سِرّاً آخر.
ومن يومها وأنا أذهب الى البحر ولاأراه.
هل تعرف لماذا لاتراه؟لأنك تذهب الى الشاطئ
ولكنني لاأرى البحر
لاأحد يعرف البحر كالآخر
وماذا حدث لكمال.أما زال يرنو الى الحمامة؟
عاد الى البحر...عاد ليلقى الحمامة.
كان كمال قليل الكلام أو شبه أخرس ربما كان يعتقد أن الكلام يفسد عليه الرؤية ويزعج الحمامة
ومع ذلك قال مرّة:
في هذا المخيم
تُولد وردة
إذا عاشت طويلاً
ضاعت الحمامة
ماذا كان يعني؟
لاأعرف كان غامضاً كأنه ليس منّا .كأنه لا يشاركنا العودة...
في الخريف لا يكون البحر بحرياً،يكون سجادة من ماء،ويكون الضوء قصباً..
وفي الخريف تسكت أجراس البحر،وتقرع أجراس الدم..
وفي الخريف تذبل الحمامة..
وفي الخريف يتحول القلب الى تفّاحة ناضجة..
وفي الخريف تنكسر الذاكرة فيسيل الخمر من النسيان...
وفي الخريف ينطق الأخرس:
ياليتني أرمي خُطايَ
عى طريق من زَبَدٍ!!
يا ليتني أرمي خُطايَ لكي أنام
على سريرٍ من زبد
حيفا!الماذا لم تطيري كالحمام

حيفا!لماذا لاأطير ولاأنام؟
حيفا!لماذا لا تقولين الحقيقة؟
أنتِ طير أم بلد
ياليتني أرمي خطاي
وأستريح الى الأبد..
وسرق كمال زورقاً..
ظلّ يُجذّف في اتجاه الحمامة ولما اقترب منها كانت الظهير ساطعة.
وكان ريش الحمامة المطرّز من الحور والغيم واضحاً.وكان حرس الشواطئ واضحين.
فأدار المجذاف عائداً الى عرض البحر وتظاهر بصيد السمك،
ريثما يهبط الغروب ويقفز الى طوق الحمامة النائمة بعد دقيقتين من الموج.
رأى موجته الضائعة فتعرّف عليها:
حين صحا قبل سبعة وعشرين عاماً على صوت الرصاص القادم من منطقة البلدية فتح النافذة
فرأى الناس تندفع الى الميناء،فهبط من شارع عباس وأبحر مع المبحرين الى ميناء عكا
التي لم تكن محتلة.وعلى هذه الموجة وصل الى صور....
يبدو أن كمال فرح للطريقة التي استولى بها على مصيره الكامل.
فقد التقط اللحظة الفاصلة بين زمنين لا يلتقيان.
وسيطر على الموجة التي شرّدته لتعيده الآن.
كأنّ حالماً قد استطاع أن يصحو في اللحظة الماسبة،وأن يُسجِل حلمه كاملاً على ورقة.
هل حدث من قبل أن عاد بحّار على الموجة التي شرّدته وضاعت؟
هل حدث من قبل أن قتل قتيل قاتله بضربة الخنجر ذاتها؟
هل حدث أن عاد أحد على طريق الرحيل؟.
لم يتمكن أحد من إخفاء سخريته من الطريق التي مشى عليها الآخرون كي يصلوا.
لم يكن يحجّ.كان ينزل من أقسى العقوبات بزمان كسره.سيجدف في هدوء.
سيرسو عند أول صخرة.سيُمسك بالزورق بكلتا يديه ليغرقه في رمل البحر بكلِّ مافيه
من حمامات رآها في سماء أخرى.سيبوّس هذه اليابسة ويغرف منها رائحة صبار تكسّر وتبعثَر.
سيتحسّس مفتاح أمه الذي استرده من قبرها.
سيمشي في شارع الملوك المحاذي للشاطئ ويتذكر عهده الأول في بيع السمك.
سيصعد الدرج الحجريّ العتيق الذي يبدأ من درج الموارنة وينتهي عند شارع الخوري.
سيلتفت الى شبابيك تعلّم أمامها داء التدخين والصفير الأول،
ثم ينعطف يساراً الى الساحة المليئة المليئة بالقطط،
ثم يهبط خمس درجات ضيقة وزقاقاً أضيق ليفتح أمامه وادي النسناس

بشرفاته المتدلية على كنيسة الروم.
سيتحاشى النظر الى الزاوية الشرقية المطلة على درج عريض يؤدي الى حيّ اليهود.
سيشتري رغيف خبز طازجاً من الفرن الواقع على رأس الوادي.سيصعد درجاً طويلاً على اليمين.
سيحيي السكان الجالسين على شرفات تجلس على الأرض عند مدخل شارع حدّاد.
ويصل الى تقاطع الدرج مع ثلاثة شوارع صاعدة يأخذها أحدها الى شارع عبّاس.
سيصعد ويصعد ويصعد ولن يلهث.سيقف طويلاً أمام القنطرة ليملأ رئتيه برائحة السنديان والطيّون.
ثم يمشي سبع خطوات فيطلع عليه البحر والميناء.
يجلس على المقعد الخشبي العتيق ويداعب صور التي يراها من بعيد لأول مرّة فيحبها لأول مرّة أيضاً.
سيضع المفتاح في مزلاج الباب فلا ينفتح من شدّة الصدأ ،
سيدق على باب الجيران ويسلِّم عليهم ويشاركهم فرحتهم بعودته سالماً ويعتذر عن الرحيل.
سيفتح باب بيته ويُسرع الى حنفيّة الماء ليسقي النباتات التي عطشت.
سيتمدد على بلاط البيت وينام ساعات...ساعات..ساعات.سينام الى الأبد.
صحا كمال من غفوته القصيرة.الفرح يملأ البحر.
ومن فرط إحساسه بالحرية شعر أنه حبّة قمح،
وأن البحر تربة خصبة وأن الموج سنابل.
نظر الى ساحل يمتدُّ في يده الممدودة فرأى قطعة ألماس تخرط الجبل لتنحت له مهداً سريعاً.
سينام أعلى من البحر قليلاً..أعلى من النوم.
سيشتهيه البحر.سيحوله الى عصفور من الحجر.سينام بعد قليل..
وحين هبط الغروب جذّف كمال بحماسة لم يعرفها من قبل.
وحين اقترب من الشاطئ سلّطت عليه الحمامة أضوائها الكاشفة.
لقد احتاج الأمر الى وقت ليعرف كمال أنه محاصر بزوارق حربية،
وأن البنادق مُصوَّبة عليه من جهات البحر كلّها،وأنّ الحمامة لست هي التي تبهر عينيه...
تجعّدِت الموجة...
تجعّدَ القلب..
هل معك أسلحة للقتل؟
معي حنين يقتلني
مِن أين انت؟
من الحمامة
الى أين تمضي ؟
الى الحمامة
ماهي هذه الحمامة؟

حِيفا
مَن أرسلك؟
خيط الدم
كم عمرك؟
موجة تأتي وتضيع
أين كنت تقيم؟
في صور
ماذا كنت تعمل هناك؟
أصنع آلهة
ما أسماء آلهتك؟
الحمامة
هل أنت فدائي؟
لا
وماذا تريد؟
أريد أن أدفن جُثّتي بيديّ تحت طوق الحمامة
لم يُصدِّقه رجال الشرطة البحرية ولم يفهموه.ظنّوه يناور.
صعدوا الى زورقه بحذر شديد.قيدوه،
نزعوا ثيابه،ولم يجدوا شيئاً.لا سلاحاً ولاهوية.
سألوه إن كان صيّاداً ضلّ الطريق في البحر.
قال:لا،أنا لاأضل الطريق،أنا أعرف الحمامة جيداً..وجئت لأراها..
لم يفهموه.هم أيضاً من حيفا ولكنهم لايعرفون أن حيفا حمامة.
هل كل مافي الأمر أنك تريد أن ترى الحمامة؟
نعم...
إذن سترى الحمامة!!
دقوّا يديه وقدميه وكتفيه بالمسامير على خشب الزورق،وقالوا:
إبق هنا.وأنظر الى الحمامة.الحمامة أمامك...
كان ينزف،وكانت الحمامة تكبر وتصغر...
وبعد أسبوع،أعاد البحر جثته الى شاطئ صور،
الى الصخرة التي كان ينظر منها الى الحمامة...
أهذا هو البحر؟
هذه هو البحر...

دخاتُ في ليل المدينة الكحليّ مثقلاً بالتعب وكوابيس اليقظة.
دارت بي حياتي دورات حادّة.لاأستطيع أن أواصل هذا التقاطع في الزمن،
ولِا أستطيع أن أتوغّل في ماهو أكثر من أوّلِ الليل.
من أوصلني الى الزقاق الفاصل بين"ماي فلور"و"نابليون"؟
لن أدخل الى هذا المكان فقد حفظتُ ما سأسمع.
كانت قنابل الطائرات المضيئة تفتح ظلام الزقاق واسعاً لخطىً أجرُّها جرّاً ،
هنا لم أمُت.هنا لم أمت بعد.من عشر سنين وأنا أسحب ظِلّي على هذا الرصيف،
وأوقِّع غربتي وأعرف أنني لن أبقى اكثر من عام.تكدّس العام على العام.

منذ عشر سنين وأنا أقرع البوابة وأتلافى البحر.
كنت أُوثر الطريق البري الطريق الأول الذي مشيته منذ ثلاثين سنة ، وسلكتُه ثانية الى هناك.
هل نسيت أن أرجع،أم نسيت أن أتذكر؟
كيف كان كل شيئ أي شيئ منذ عشر سنين؟
تمشي أيامي أمامي كقطيع من ماعز لا يأتلف.
تمشي أيامي ورائي كرائحة الوردة الواقفة عكس الريح.
وتمشي أيامي حولي كما أمشي حولها الآن في لعبة الكراسي الموسيقية الصادرة عن آلات معدنية.
هنا لم أمت.هنا لم أمت حتى الآن.
ولكن هذا الصراخ الهابط من السماء،والصاعد من الأرض لا ينقطع،
ولايتيح لأية صورة من صور أيامي أن ترسو على شكلها،
ولا يأذن لخوفي بأن يتكامل ولايسمح لطيشي أن يتغافل.كفى!
حرّكتُ يدي في ظلام الزقاق المضيئ لأطرد عن رؤياي سحابة الطائرات كما يطرد المرءُ الذباب.كفى!
قلتُها بصوت أعلى فردّت بصوت أعلى وأعلى...
وبصقَتْ كُتَلاً من لهيب أعادتني من رحلة القطار المسافر من حيفا الى يافا لأعرف أني أسير على طريق آخر.كفى!!
فهمتُ..وماذا لو كنت هناك؟هنا لم أمت...لم أمت بعد.كفى...سنخرج،قلنا سنخرج،
فلماذا تواصلون هذا الهراء الجهنمي.كفى ياأولاد الكلبة،
أيها المفتونون بالعضلات الحديد واشعة الليزر والقنابل العنقودية والقنابل الفراغية..كفى!!!
استعراض قوة مترف .قضم المدينة والأعصاب.والظلام سريع الانتشار في مدينة لا كهرباء فيها.
قطعة فحم واحدة تُنجِب هذا الظلام كله في أقل من نصف ساعة.
ولأول الليل مذاق مرٌ..حامض..رخو.
مذاق يخلق في النفس بلاداً غريبة الغربة،
ويخلق في عطش الجسد الرطب شوقاً خاملاً الى عطش جسد رطب آخر.
ويسوق النسيان الى مجرى آخر:
كلانا يقتل الآخر خلف النافذة.
قطار الساحل يُسابِق البحر على اليمين ويسابق الشجر على اليسار.
مطر،مطر وشجر،مطر وشجر وحديد.مطر وشجر وحديد وحرية.
....
وصديقي الشقي ّ يداعب صديقي الناحل المكفهر بلا نهاية.
لأول مرّة يأذنون لنا أن نغادر حيفا شريطة أن نعود في الليل،
لنذهب الى محطة الشرطة الواقعة على طرف الحديقة،
حديقة البلدية،ليقول كل واحد منّا طريقته:سجِّل أنا موجود.سجِّل!!
إيقاع جديد قديم أعرفه.سجِّل أنا،
أعرف هذا الصوت البالغ من العمر خمساً وعشرين سنة.

يا للزمن الحي،يا للزمن الميت،يا للزمن الحي الخارج مِن الزمن الميت.
سجِّل أنا عربي،قلتث ذلم لموظف قد يقود ابنه إحدى هذه الطائرات
قلتُها باللغة العبرية لأستثيره.
وحين قُلتها باللغة العربية مسّ الجمهور العربي في الناصرة تيّار كهربائي سِرّي
أفلت المكبوت من قمقمه.لم أفهم سرّ هذا الاكتشاف،
كأنني نزعت الصاعق عن ساحة ملغومة ببارود الهوية،
حتى صارت الصرخة هي هويتي الشعرية التي لا تكتفي بأن تشير إليّ بل تطاردني.
لم أدرِك أنني كنت في حاجة لأن أقولها هنا في بيروت:
سجِّل أنا عربي،
هل يقول العربي للعرب إنه عربي؟
ياللزمن الميت، ياللزمن الحي!!
نظرتُ الى ساعة يدي لأعرف ما هو عمري الآن.
خجلتُ من هذه النظرة:هل ينظرالمرء الى ساعة يده ليرى عمره.
منذ أسابيع نصب لي الصديق"أ"كمين الأربعين.
صرخ معين في الحفلة مُقَهقِهاً:لم تعد فتى.الحمد لله تخلّصنا من فتى آخر.
لم تعد فتى.لقد صرتَ في الأربعين!!
قلت له:وماذا يبهجك يا عجوز؟/قال:يبهجني أنّك في الأربعين.
وقلت:أنسيت أنك تقترب من الستين؟/قال:ليس هذا مهمّاً.
الأعمار كلها تتشابه بعد عتبة الأربعين.لقد أدركتني الآن.
منذ عشرين سنة وأنا أنتظرك هنا على عتبة الأربعين،وها أنت وصلت.
أهلاً وسهلاً.لم تعد فتى،لم تعد فتى.لقد سكِر معين حدّ الهذيان،
حد الظن بأني أكبر وهو يتوقف عن الكِبَر.فتنتهُ المساواة.
قلنا:عاشت المساواة.واحتفلنا به...ياللزمن؟
القطار يقصُّ البحر والشجر.الشجر والبحر يهربان من القطار.
قطار الزمن على حديد العمر.
هل كنّا حقاً في العشرين عندما أخذتني هويتي الى ذاك النشيد المصكوك
بحوافر خيل يلتهمها الأفق المفتوح على أفق مفتوح على أفق لا نعرف إن كان مفتوحاً أم مغلقاً؟
وهل كنتُ حقاً في السابعة والعشرين حين احتكّ نشيد الهوية بنشيد الأناشيد وشبّ حريقٌ في السوسن،
وسمعتُ آخر صرخات الحصان الهاوي من جبل الكرمل الى البحر الأبيض المتوسط؟
الى متى يتذكر الوجع أفعاه الساحرة...
والى متى نواصل الذهاب الى الأربعين؟
مصادفة....ليس أكثر من مصادفة أن يكون الخروج من الجسدخروجاً من البلد.
ولم أتذكر المصادفة إلا الآن.قطار ومطر وشجر،ومدفأة،
وقدمان حافيتان بيضاوان على جلود عشرين خروفاً في نشيد الأناشيد.

والمغني يغني لسوزان التي أخذته الى النهر.وهي تقول لي:
خذني الى أستراليا،وأنا أقول لها:خذيني الى القدس.
لا لم أتذكر شيئاً ولكنني كنت أحلم،فهل الحلم هو إختيار النسيان.
ومن المنام يخرج منام آخر:هل أنت حي.يا للزمن الحي،يااللزمن الميت.
لقد اكتملت الدائرة.أمّي البعيدة تفتح باب غرفتي وتقدِّم لي القهوة على طبق من قلبها.
أداعبها:لماذا أذنتِ لي أن أضع ركبتي على السكين وأضغط لتبقى معي هذه الندبة؟
ولماذا أذنتِ لي أن أمتطي الحصان مادام سرجه سيسقط ليسقطني تحته ولتبقى على جبيني هذه الندبة؟
الظلامِ الكحليّ يتفتّح،ينفرج،يصير أبيض.الظلام أبيض حالك البياض.
وجدتُ نفسي جالساً على مقعد جلديّ مريح أستمعُ الى ثلاثي القتل المتناغم:
الطيران،والبحرية،والمدفعية.
أشعلتث قنديل الغاز ذا الشخير الأيف ومشيتُ الى غرفة المكتبة لأكتب وصيتي.
لم أجد ما أوصي به.لا سِرَّ في حياتي.لا مخطوطة سرية،ولارسائل خاصةأحتفِظ بها.
وناشري معروف.وحياتي فضيحةُ شِعري،وشِعري فضيحة حياتي.
رفّ على بالي مطلع قادم من سطوح بيوت الجيران:
يطير الحمام،يحطُّ الحمام.يطير الحمام.
أعجبني أن أموت في الأربعين،لا قبل ولا بعد....

سمعتُ نقرتين على الباب.هي،هي كالمشدودة كنداء أخير.
هي المهووسة بلإطفاء الملح المشتعل في دمها.
ناديتُها بإسم آخر.قالت:مَن هذه؟/قلت:لاأحد.
حملتْ مصباح الغاز وراحت تبحث عن الاسم الآخر في كل مكان وعلى الشرفة.لم تجدأحداً.
هل تهذي،أم تحلم؟
شِيئ من هذا،شيئ من ذاك.
مَن هي؟
لاأحد...
هل تهذي؟
أحياناً..
اقترَبتْ مني وأشعلت نار بطنها الناعمة..ناراً زرقاء بيضاء،فحيح.
هسهسة ملح.أنين قطط مكبوت.ورغبة في موت مختلف.
أفي كلّ يوم؟قلت
في كل يوم الى أن ينتهي الحصار.أعود الى بيتي...
وتخرج من هنا.كن تابوتي لأكون تابوتك.
على الشرفة،أريد أن أرفع تابوتي على الشرفة،
على مرأى من طائراتهم وبوارجهم ومدافعهم على مرأى من أضواء

الأشرفية.
مجنون؟
مجنون في الحياة
لا....
على الشرفة سترفعين تابوتك.الشرفة هي إعتداء الحياة على الموت.
هي مقاومة الخوف من الحرب.لاأريد أن أخاف.لاأريد أن أخجل.
ولكن،كيف اصرخ على الشرفة؟
أمِن الضروري أن تصرخي دائماً؟
الرجل لايفهم المرأة
المرأة لاتفهم الرجل...
وهنا لم أمت.هنا لم أمت.منذ عشر سنين وانا أعيش هنا.
لم أعش في أي مكان عشر سنين.
لم اتآلف مع رائحة الخضروات ونداء الباعة وضجيج البار المسلّح
ومشاكل الماء والمصعد كما تآلفتُ هنا.هنا لم أمت.
شرفات كثيرة تطلّ على شرفات كثيرة مفتوحة في الربيع والصيف والخريف
وبدايات الشتاء
ونهايات الشتاء لتتبادل الأسرار والفضائح الصغيرة وأجهزة التلفزيون العالية
الصوت
وروائح الثوم والشِّواء وأصوات إهتزاز الأسرة في ساعات بعد الظهر وفي
الليل.
شارع صغير/صغير اسمه شارع"يموت"وهنا لم أمُت.
وهنا منذ قليل في موسم السيارات المفخخة كنت أمشي مع أحد الجيران
في أول المساء
حين استمعنا الى خشخشة في سيارة،فنبّهْنا سكان الشارع الى ضرورة
مغادرة بيوتهم ريثما يصل الخبير العسكري،
فإن انفجار سيارة واحدة يقضي على سكان الحي الذين جاؤوا بحثاً عن
الأمان حول الجامعة الأمريكية
من كل أنحاء المجازر والطوائف.
وحين جاء الخبير العسكري وعاين السيارة لم يعثر على مائة كيلو غرام
من الديناميت،كما توقعنا،
بل عثر على جرذ جائع يقضم أمعاء سيارة.
ضحك الحي كلّه حين عرف أنّ في وسع جرذ واحد أن يُهجّر حيّاً بأكمله.
نعم،في وسع جرذ واحد أن يُهجّر مدينة،وأن يحكم دولة!!!
وهنا لم أمت.لم أمت بعد.كلّما كانت تحطَ الطائرة في مطار بيروت
كنت أشم رائحة المجهول وعبق الرحيل القادم.
كان الضباب الصاعد من رطوبة الصيف وجفاف الربيع القاسي اللاذع السريع
يوقظ فيّ حاسة
المؤقت:هل سنبقى هنا؟لن نبقى هنا.
يبدو أن لنهايات الأشياء شكلا محدّداً،شكلاً من الغموض المحدد،
شكلاًمن أشكال تواطؤ الطبيعة مع الهاجس،أي هاجس،وخاصة في آب.
آب الشهر الدنيئ السافل العدواني الحاقد الخائن...

آب القادر على تزويد الرمز بما يحتاج اليه من جثث،
وعلى مدِّ تراخي الجسد بما تبول الطبيعة من عبوس البخار ونذير الرطوبة المحتقن.
وجه آب وجه حاقن لا يجد مرحاضاً ولا حائطاً مجهولاً.
آي شهر قَذر ضجر قاحل قاتل ،مائل الى نهايات تطول مقدماتها،نهايات لاتبدأ ولا تنتهي،
كأنّ آب طائفية الفصول التي لم تجد أتباعها بعد.
آب قادر على استفزاز البحر،البحر الذي يحيل الى الأفق زفير الرصاص.

قل لي يا أخ محمود ماذا تقصد بالبحر،ما معنى البحر،البحر طلقتك الأخيرة؟
من أين أنت يا أخ؟
من حيفا
من حيفا ولاتعرف البحر؟
لم أولِد هناك،ولدتُ هنا في المخيم
ولدتَ هنا في المخيم،ولا تعرف البحر؟
نعم أعرف البحر،ولكني أعني:ما معنى البحر في القصائد؟
معنى البحر في القصائد هو معناه على حافة البر.
هل البحر في الشِعرهو البحر في البحر؟
نعم البحر هو البحر.في الشعر والنثر وعلى حافة البر.
ولكنهم قالوا لي:
إنك شاعر رمزي مغرق في الرمزية لذلك ظننتُ أن بحرك غير البحر الذي نعرف،غير بحرنا.
لا ياأخ،خدعوك.بحري هوبحرك،وبحرك هو بحري.نحن من بحر واحد والى بحر واحد...
البحر هو البحر..
يتعجب المقاتل من عجز الشاعر عن تفسير شعره.
أو يتعجب من سهولة الشعرمادام البحر هو البحر،
أو يتعجّب من حقِ الواقع البسيط في الكلام.
ألستَ أنت يا أخ مَن يُدخِل البحر الى الشعر،
حين تحمل البحر علِى كتفيك وتُثَبّتُه أين تشاء.
ألست أنت يا أخ مَن يفتح فينا بحر الكلام على مصراعيه؟
ألست أنت بحر الشعر،وشعر البحر.
أنا برئ.أنا أدافع عن حقّي وعن ذاكرة أبي وأحارب الصحراء.
وأنا أيضاً،ولكن البحر ياأخي هو البحر.
واليه سنمضي بعد قليل في سفن نوح الحديثة،
في أزرق يسفر عن أبيض لا نهائي،ولا يُسفر عن ساحل.
الى أين...الى أين يأخذنا البحر في البحر؟.وهنا لم أمت.
لم أمت بعد.سأنام.
ما النوم؟
ما هذا الموت السحري المفروش بأسماء العنب!!
جسد ثقيل كالرصاصة يرميه النوم في سحابة من قطن.

جسد يتشرّبُ النوم كما يتشرّب النبات المهجور رائحة الندى.
أدخل في النوم رويداً رويداً على أصوات بعيدة
اصوات قادمة من ماض مبعثر على تجعُّد السريرو الأيام.
أقرع باب النوم من عضلات ترتخي وتتوتر.فيفتح لي ذراعه.
أستأذنه في الدخول فيأذن لي.أدخل.أشكره.أمدحه.أحمده.
النوم يناديني وأنا أنادي النوم.النوم سواد يتفكّك تدريجيا الى رمادي وابيض.
النوم أبيض ،انفصال وأبيض.استقلال وأبيض.ناعم وقوي وأبيض.
النوم صحوة التعب وأنينه الأخير...وأبيض.
للنوم أرض بيضاء وسماء بيضاء وبحر أبيض،وعضلاته قوية،
عضلات من زهر الياسمين.النوم سيّدٌ،ملك،سلطان،وإله.
استسلم إليه كما يستسلم العاشق لمدائح المرأة الأولى.
النوم جواد أبيض يطيرِ على سحاب أبيض.
النوم سلام.النوم منامٌ يخرج من منام:
هل أنت حيّ؟
في منطقة وسطى بين الحياة والموت
هل أنت حي؟
كيف عرفت أني أضع رأسيِ على ركبتيك وأنام؟
لأنك أقيظتني حين تحرّكتَ في بطني.هل أنت حي؟
لاأعرف،لاأريد أن أعرف.
ولكن هل يحدث كثيراً أن يوقظنا من المنام منام آخر هو تفسير المنام؟
هذا ما يحدث الآن...هل أنت حي؟
مادمت أحلم،فأنا حيّ.لأن الموتى لا يحلمون.
هل تحلم كثيراً؟
حين أقتربُ من الموت..
هل أنت حيّ؟
تقريباً،ولكن في الوقت مُتَسعاً للموت.
لا تمت
سأحاول
هل أحببتَني؟
لا أعرف
هل تحبني الآن؟
لا
الرجل لا يفهم المرأة
والمرأة لا تفهم الرجل
لاأحد يفهم أحداً
ولاأحد يفهم أحداً
ولاأحد يفهم.
لاأحد..
لاأحد....
البحر يمشي في الشوارع.

البحر يتدلّى من النوافذ وأغصان الشجر اليابس.
البحر يهبط من السماء ويدخل الغرفة.أزرق..أبيض...زبد..موج.
لاأحب البحر....لاأريد البحر،لأنني لاأرى ساحلاً،ولاحمامة....
لاأرى في البحر غير البحر..لاأرى ساحلاً.لا أرى حمامة.....